

سیغموند فروید

# ابلیس فی التحلیل النفسی

ترجمہ:  
جورج طرابیشی

سينغونند فرويد

# إبليس في التحليل النفسي

ترجمة:

جورج طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة  
لدار الطليعة للطباعة والنشر  
بيروت - لبنان  
ص.ب ١١١٨١٣  
تلفون ٣١٤٦٥٩  
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى  
شباط (فبراير) ١٩٨٠  
الطبعة الثانية  
شباط (فبراير) ١٩٨٢

## عصاب شيطاني من القرون السابع عشر<sup>(١)</sup>

راينا ، في دراستنا لاعصبه (٢) الطفولة ، اننا نستطيع ان نكتشف فيها بالعين المجردة الكثير من الاشياء التي لو مر الزمن عليها لبات اكتشافها بحاجة الى طول تحرر وتقص . وبوسعنا ان نتوقع الوصول الى ملاحظة مماثلة بصدد الامراض العصبية في القرون الماضية ، بشرط ان يتوفر لدينا الاستعداد لتعرفها تحت

- ١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في مجلة ايمانو ، م ٩ ، ١٩٢٣ ، الكراسة ١ : «علم النفس الديني» .  
٢ - الامصبه جمع عصاب Névrose : اضطراب وظيفي ، نفسي المنشأ ، في الجهاز العصبي ، وهو في التحليل النفسي ظاهرة صراعية فيها معارضة لدافع لحريزي اساسي . -م-

## هذه ترجمة كتاب

Une Névrose Démoniaque  
Au XVIIe Siècle  
Et Autres Essais

Par Sigmund Freud

In

Essais De Psychanalyse  
Appliquée

Idées - Gallimard  
Paris 1976

## قصة الرسام كوستوف هايتز من

انني ادين لمبادرة حميدة من جانب الدكتور د. باير - ثورن - Payer - Thurn ، المستشار في المحكمة العليا ومدير المكتبة الامبراطورية والملكية سابقا للاستشارات بغيينا ، بما اتاحه لي من فرصة الاطلاع على قصة عصاب من تلك الاعصبة الابليسية في القرن السابع عشر . فقد اكتشف باير - ثورن في المكتبة المذكورة مخطوطة آتية من مزار ماريازل (٥) ، وتسرد بالتفصيل قصة الخلاص العجائبي ، بتعمة القديسة مريم العذراء ، من حلف معقود مع الشيطان . وقد ايقظت اهتمامه بها علاقة هذا الموضوع بأسطورة فاوست ، مما حثه على التبحر في دراسة هذا الموضوع وتوضيحه ، لكنه حين اكتشف ان الشخص الذي تصف المخطوطة خلاصه كان يشكو من نوبات تشنجية ومن رؤى ، توجه السي ليحصل على رأي طبي في المسألة . وقد افقنا على ان ينشر كل واحد منا بحثه على حدة وبصورة مستقلة . واتى لأعرب له عن شكري لأبحاثه لي بفكرة هذا البحث . وللمساعدة التي قدمها لي مرارا في دراسة المخطوطة .

ان قصة هذا المريض الابليسية تقدم لنا بالفعل كنزا ثميننا يتم عن وجوده بملء الشفافية ، دونما حاجة الى التمعن في اساويل . مثلما يهدي عرق المنجم المكشوف الى المعدن الصرف الخالص الذي لا سبيل الى استخلاص نظيره الا بشق الانفس من القلر الخليل الذي يتطلب صبرا .

اسماء مغامرة لاعصبتنا الزاهنة . ولا تأخذنا الدهشة اذا ما وجدنا اعصبة تلك الازمنة النائية تتلبس مظفرا يدخل ضمن نطاق علم الابليسيات ، بينما اعصبة عصرنا الحاضر ، الذي لا يزال يخطو خطواته الاولى في مضمار علم النفس ، تنبدي . وقد تنكرت في إهاب امراض عضوية ، اقرب في المظهر الى الهجاس السوداوي Hypochondrie . وقد اكتشف عدد من الباحثين كما هو معلوم ، وعلى رأسهم شاركو (٢) ، تظاهرات الهستيريا في تمثيلات المس الشيطاني والانجذاب (٣) التي أورتنا اياها في الفن ؛ والحق انه ما كان ليحسر اكتشاف مضمون اعصاب فسي تاريخ هذه الامراض فيما لو وجد عصرنا من يعيرها المرء من الانباء .

لقد كانت النظرية الابليسية الشائعة في تلك الازمنة المظلمة اقرب الى الصحة والصواب من جميع التاويلات البدنية التي رأت النور في حقبة الرياضيات التي سميت بـ « العلوم الدقيقة » . فشروب المس تناظر اعصبتنا التي عملنا الى تفسيرها بالاستعانة من جديد بالقوى النفسية . فالابلية في نظرتنا ، نحن ، رقيات شريفة ، مستهجنة ، تنبع من دوافع مكبوجة - مكبوتة ، وكل ما هنالك اننا نتحاشى اسقاط هذه الخلائق النفسية في العالم المخرجي على نحو ما كان يفعل العصر الوسيط ؛ بل لنعيا تولد في حياة المرضى الداخلية حيث مكان افاعتها .

٢ - جان ماري شاركو : طبيب فرنسي ١٨٢٥ - ١٨٩٢ ، عديدتهور بأبحاثه في الامراض العصبية ، درس عليه فرويد لفترة وجيزة من الزمن .  
٣ - الانجذاب Extase : مرض عصبي يتميز بالنطق العقلي ولبات البصر وجود الجسم وفقدان العنسية .

تنقسم المخطوطة ، التي امامي منها نسخة طبق الاصل ، الى قسمين مختلفين تماما : رواية إخبارية محررة باللاتينية بقلم الكاتب او الناسخ الراهب ، وجزء من يوميات المريض مكتوب باللاتينية . ويشتمل القسم الاول على مقدمة وعلى قصة الشفاء العجائبي ، اما القسم الثاني فان لم يكن قد حظي بأهمية بالنسبة الى رجال الكنيسة ، فان ذلك لا يزيد الا نفاسة بالنسبة اليها نحن . فإسهامه كبير في تعزيز حكمنا الذي لا يزال يشك بالتردد بصدد هذه الحالة المرضية ، ومن حق أولئك الرهبان علينا ان نشكرهم على حفظهم تلك الوثيقة ، مع انه ما كان من الممكن ان تخدم مآربهم ، هذا ان لم نقل انها تناقضها .

قبل المضي قدما الى الامام في دراسة الكراسة الصغيرة المخطوطة والمعونة باسم Trophaeum Mariano - Cellense ، يجدر بي ان اقول للقراء شطرا من مضمونها اقتبس من المقدمة .

في ٥ ايلول ١٦٧٧ اقتيد الرسام البافاري كرسstof هاتزمن ، وهو يحمل رسالة توصية من خوري بلدة بوتنبرون (جنوب النمسا) ، الى ماريازل ، القرية منها (٦) . وكان قد اقام عدة اشهر في بوتنبرون ، يزال فيها فنه ، وفيها أصابته في ٢٩ آب ، وهو في داخل الكنيسة ، تشنجات رهيبية ؛ ولما تجددت هذه التشنجات في الايام التالية فحصه الـ Praefectus Dominici Pottenbrunnensis (٧) ، وسأله عما يعذبه وان كان

بروتنبرون . -٣-

تورط في علاقة محرمة مع ابليس (٨) . وللحال اعترف بأنه كان قبل سبع سنوات ، في زمن وهنت فيه مقدراته الفنية وخاف ان تضيق به سبل العيش ، قد استسلم لإغراء الشيطان - الذي كان قد سعى سبع مرات الى ايقاعه في التجربة - وتعهد له خطيا بان يسلس له قياد جسمه وروحه لدى انقضاء الميقات . وكان اجل ذلك قد اقترب : الرابع والعشرون من الشهر الجاري آنذ (٩) . وعرض الشقي اصابع الندم وداخله الاعتقاد بان نعمة والدته الله ، عذراء ماريازل ، هي وحدها التي تستطيع انقاذه بإرغامها ابليس على ان يعيد اليه العهد الذي خطه بدمه . ولهذا اباح كاتب التوصية لنفسه ان يوجه رسالته الى رهبان ماريازل من الآباء الصالحين ليشملوا بعطفهم وحسن التفاهم «هذا الرجل البائس الذي ليس له من معين» (١٠) .

ذلك ما كتبه خوري بوتنبرون ، ليوبولدوس براون ، في الاول من ايلول ١٦٧٧ .

وبوسعي الان ان اتابع تحليل المخطوطة . وهي تتألف من الاقسام الثلاثة التالية :

١ - من عنوان ملون يمثل مشهد عقد العهد ومشهد الخلاص في مزار ماريازل ؛ وعلى الصفحة التالية توجد ثمانية رسوم ، ملونة ايضا ، لظهورات لاحقة للشيطان مع لبدات مقتضبة باللغة

٨ - تنوه هنا على عجل باحتمال ان تكون هذه الاسئلة قد «أوجت» للمريض بفكرة توهم حقه مع الشيطان .

9 — Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus Futurus Appropinquat

١٠ - باللاتينية في النص : Miserum Hunc Hominem Omni Auxilio Destitutum.

الالمانية ، وما هذه الصور بأصلية ، وإنما نسخ - نسخ أمينة على نحو ما هو معلن رسميا - عن الرسوم الاصلية بريشة كز . هابترمن .

٢- من المتن الذي يضم التذكار Trophaeum ويسروري باللاتينية قصة الخلاص العجائبي ، وهو من وضع ناسخ مترهب يقع نهاية الرواية بـ P.A.E ، ويضيف الى هذه الاحرف اربعة ابيات من الشعر يضمنها سيرة حياته . وتالف الخاتمة من شهادة من الاب كيليان رئيس دير سان - لامبير ، بتاريخ ١٢ ايلول ١٧٢٩ ، يؤكد فيها ، بخط مختلف عن خط الناسخ ، دقة التوافق بين المخطوطة والصور وبين النسخة الاصلية المحفوظة في الارشيف . ولا يرد ذكر للسنة التي ألف فيها التذكار . ولنا الخيار بين التسليم بأنه وضع في السنة نفسها التي أعطى فيها الاب كيليان شهادته ، أي في سنة ١٧٢٩ ، وبين إدراج زمن عمل الناسخ الى ما بين ١٧١٤ و ١٧٢٩ على اعتبار أن آخر تاريخ يرد ذكره في النص هو ١٧١٤ . اما الاعجوبة التي أريد بذلك الكتاب صونها من النسيان فقد حدثت في سنة ١٦٧٧ ، أي قبل فترة تتراوح ما بين ٣٧ و ٥٢ سنة .

٣ - من يوميات الرسام المحررة بالالمانية ، والتي تمتد من لحظة تحرره في المزار الى ١٣ كانون الثاني من السنة التالية (١٦٧٨) . وقد أدرجت في نص التذكار قبيل خاتمته بقليل .

تتألف مادة التذكار يحضر المعنى من رسالة التوصية الآتية الذكر بقلم ليوبولد براون ، خوري بونبرون ، بتاريخ ١ ايلول ١٦٧٧ ، ومن رواية الاب فرانسيسكوس رئيس دير ماريسازل وسان - لامبير ، التي يسرد فيها قصة الشفاء العجائبي ، بتاريخ ١٢ ايلول ١٦٧٧ ، أي بعد الرسالة الاولى ببضعة أيام . وقد كتب المحرر أو الناسخ P.A.E مدخلا دمج فيه بنوع ما الوليقتين كليهما ؛ ثم أضاف اليه بعض فقرات للربط غير ذات أهمية ، وفي الخاتمة رواية لمغامرات الرسام اللاحقة . استنادا

الى معلومات جمعت سنة ١٧١٤ (١١) .  
هكذا تكون وقائع حياة الرسام قد رويت ثلاث مرات قسي التذكار .

١ - في رسالة التقديم بقلم خوري بونبرون .

٢ - في التقرير الرسمي للاب فرانسيسكوس .

٣ - في مدخل المنشء .

ومن مقارنة هذه المصادر الثلاثة تبرز بعض الاختلافات التي لن يكون من غير المجدي تحريها وتتبعها .

استطيع الآن ان اتابع قصة الرسام . فبعد طول توبة وتكفير وصلاة في ماريسازل ، بتاريخ ٨ ايلول . وهو عيد ميلاد العذراء ، وعند منتصف الليل ، اسرد من الشيطان ، الذي ظهر في المزار المقدس في صورة تنين مجنح ، العهد المحرر بالدم . وسوف نعلم لاحقا ، على ذهنة عظيمة منا ، ان قصة الرسام كز . هابترمن تشتمل على عهدين مع الشيطان ؛ عهد كتب بالحبر الاسود ، وآخر حرر بالدم . وفي مشهد التعزيم الآنف الذكر لا يرد ذكر ، كما يستبان ذلك على كل حال من صورة العنوان ، الا للعهد المكتوب بأحرف من دم ، أي للعهد الاخير في ترتيب التحرير .

هنا يمكن ان يساورنا ، بصدد المصادقية التي ينبغي ان نقر بها للرواة الورعاء ، شك ينهنا الى ضرورة عدم تبديد مجهودنا في مسألة هي من نتاج اباطيل المعتققات الرهبانية . فمما ترويه المخطوطة ان عددا من رجال الاكليروس ، المذكورين بأسمائهم ، قدموا مساعدهتهم طول الوقت للمعزّم عليه . وانهم كانوا حاضرين ايضا عند ظهور الشيطان في المزار . ولو زعمت رواية المخطوطة

١١ - يمكن ان نعبر ذلك بمثابة توكيد بأن التذكار إنما قد حُصر  
سنة ١٧١٤ .



انهم شاهدوا هم ايضا التنبؤ الشيطاني حين تناول الرسام الصك المكتوب بالاحمر (Schedam Sibi Porrigentem Conspexisset) لكننا وجدنا انفسنا امام عدد من الفرصيات غير المنحبة . وقد يكون اقلها إحراجا فرضية هلوسة جماعية . غير ان نص الشهادة التي حررها الاب فرانسيسكوس بالذات يضع حدا لهذا الشك . اذ لم يرد فيها ذكر البتة لكون الرهبان المستعدين قد راوا هم ايضا الشيطان ، بل نصت ببساطة واستقامة على ان الرسام انتزع نفسه على حين بغتة من بين ايدي الرهبان الذين كانوا يمسكون به ليهرع نحو ركن المزار حيث رأى الشبح ثم عاد بعد ذلك والصك بيده (١٢) .

كانت المعجزة كبيرة ، وانتصار وائدة الله القديسة على الشيطان لا ريب فيه . لكن الشفاء لم يكن للأسف دائما . ولتؤكد مرة أخرى على نزاهة الرهبان اذ لم يخفوا هذه الواقعة عن الأنظار . فقد غادر الرسام ماريانزل بعيد ذلك ، وهو في احسن حال ، وقصد فيينا حيث اقام لدى شقيقة له متزوجة . وهناك انتابته ، في ١١ تشرين الاول ، نوبات جديدة ، واكثرها خطير . وقد اوردت اليوميات خبرها حتى يوم ١٣ كانون الثاني . كانت عبارة عن رؤى ، وعن غيبوبات كان المريض يحس اثناءها ويعاين شتى الاشياء ، وعن حالات تشنجية ترافقها احساسات مؤلمة للغاية ، ومرة شلل في الساقين . وهكذا دواليك . لكن ليس الشيطان من كان يعود هذه المرة ، وانما اشخاص قديسون كالمسيح والعذراء القديسة بنفسها . والعجيب في الامر ان

اوجاعه الناجمة عن هذه الرؤى القدسية وعن العقوبات التي كانت تنزلها به ما كانت تقل عن تلك التي كان يعاينها سابقا تحت وطأة علاقاته بالشيطان . بل انه يضع في يومياته هذه الاحداث الجديدة في باب تجليات الشيطان ، وقد تشكى من تجليات السروح الشرير (١٣) حين عاد في ايار ١٦٧٨ الى ماريانزل .

وكانت الدريعة التي تقدم بها الى الرهبان لتعجيل عودته انه لا يزال عليه ان يطالب الشيطان بصك عهد آخر كان قد كتبه بالحبر (١٤) . وفي هذه المرة ايضا استجيب التماسه بشفاععة العذراء القديسة والآباء الورعاء . لكن الرواية تلزم الصمت بصدد الكيفية التي حدث بها ذلك . وهي لا تذكر سوى كلمات قلائل : *Qua Iuxta Votum Reddita* (١٥) . من جديد صلي ، واستجابة لصلاته اعيد اليه الصك . ولما شعر عندئذ انه قد تحرر تماما ، انتسب الى **رهبانية اخوة الرافة** .

وينبغي ان نقر من جديد بان الطابع المفرض لعمل التناسخ لم يحمله مع ذلك على الحيدان عن جادة الصدق الذي من حقنا ان نطالب به اي راو لقصة مريض . فهو لا يخفي النتائج التي تمخض عنها تحقيق اجري ، بعد وفاة الرسام ، لدى سلطات دير اخوة الرافة سنة ١٧١٤ . فلاب الموفر رئيس الدير يروي ان الاخ كريزوستوموس (١٦) تعرض عدة مرات اخرى لهجمات ابليس الذي

١٢ - باللاتينية في النص : *Maligni Spiritus Manifestationes*

١٤ - هذا الصك ، الذي حرره كما هو مذكور في شهر ايلول ١٦٨٨ ، كان بالثاني . بعد تسعة اشهر ونصف شهر ، اي في ايار ١٦٧٨ ، قد تجاوز هذا زمن تاريخ استحقاقه .

١٥ - باللاتينية في النص : « قاعد اليه حسب طلبه » .

١٦ - اي قم الذهب .

12 — ... Ipsumque Daemonem ad Aram Sac. Cellae per fenestrellam in cornu Epistolae Schedam sibi porrigentem conspexisset eo advolans e Religiosorum manibus, qui eum tenebant, ipsam Schedam Ad manum obtinuit...

كان يريد ان يجره الى عقد عيد جديد . ولكن هذا فقط «عندما كان يفرط قليلا في شرب الخمر» . غير انه امكن على الدوام ، بفضل نعمة الله ، رد الشيطان على اعغابه . وقد توفي الاخ كريزوستوموس بعد ذلك «بوداعة وملؤه العزاء» بحمى الدق . في العام ١٧٠٠ . في دير الرهبانية . في نوسيات على نهر موندوفا .

- ٢ -

## علة العهد مع الشيطان

اذا نظرنا الى قصة هذا العهد الشيطاني على انها قصة مرض عصابي . فان مشكلة تحليل العهد - وهي مشكلة ذات صلة وثيقة اصلا بمسئلة تسيب المرض - ستكون اول ما يستأثر باهتمامنا . فلماذا يهب الانسان نفسه للشيطان ؟ صحيح ان الدكتور فاوست يسال بالزدراء : «ما يوسعك ان تعطيه . وانت نفسك شيطان مسكين» . لكنه لم يكن على حق : قال الشيطان بملك ان يعطى . مقابل نفس خالدة . كل صنوف الاشياء التي يشتمها بنو البشر عالي النشيم : الثروة . الامان في خضم الخطر . السلطان على الناس وعلى قوى الطبيعة . بل حتى الفنون البحرية . ولكن اولا . وقبل كل شيء . المتعة . التمتع بجماليات النساء (١٧) . فلماذا يمكن ان

١٧ - انظر في فاوست . الفصل الاول وشهد المكتيب :

أود الالتزام هنا بخدمتك

وطاعتك بلا كلل ولا ملل ؟

ويوم تلقي ثانية في العالم الآخر

عليك ان تعاملني بالمثل .

تكون . والحالة هذه . بالنسبة الى كريستوف هاستمن علة عهده ؟ ليس لاية رغبة من هذه الرغبات الطبيعية تماما . مهما بدا ذلك باعنا على العجب . وتلافيا لكل حيرة وتردد . حين ان ندقق النظر في التعليقات المفتحة التي يرفق بها الرسام ظهورات الشيطان التي صورها . هاكم . على سبيل المثال . ما جاء في التعليق على الرؤيا الثالثة :

«للمرة الثالثة ظير لي خلال عام ونصف في هذا المظهر الفظيع . وفي يده كتاب ليس فيه الا شعوذة وسحر اسود...» . لكننا نعلم من التعليق المرافق لظهور لاحق ان الشيطان قرع الرسام بقرعها شديدا لانه «أحرق الكتاب الذي كان قد أعاسن عنه» . ونوعده بان يمزقه إربا إربا اذا لم يستطع تأميته لسهه من جديد .

وفي الظهور الرابع يريه صرة تقود صفراء كبيرة وقطعة كبيرة من النقد الذهبي . ويوعده بان يهبه منها قدر ما يشاء : «لكني لم اقبل بذلك البتة !» : ومن حق الرسام . بالفعل . ان يتباهى بذلك .

وفي مرة أخرى يسأله ان يلهو ويتسلل . ويعلق الرسام على ذلك بقوله : «هذا بالفعل ما حدث بناء على طلبه . لكني لم أستمع قط أكثر من ثلاثة أيام . والحال بعد ذلك عدت الى الاستنكاف» . ان يكن اذن قد رفض السحر والمال والملاذات . فما كان له ان يجعلها ضمن شروط العقد . وان المرء لتساوره بالفعل الحاجة الى معرفة ما كان الرسام ينتظره حقا من الشيطان حين نذر نفسه له . وعلى كل . لا بد ان يكون هناك سبب ما وراء طلب الدخول في اتصال مع الشيطان .

يقدم لنا **التذكار** في الواقع بصدد هذه النقطة معلومة موثوقة . اذ لما استبدت بالرسام السويداء . كان قد أمسى عاجزا او عازفا عن العمل . وقد ركبته الهموم بصدد تدبير امر



معاشه ، مما يعنى انه كان مصابا بهبوط سوداوي مع كف عن العمل وخشية (لها ما يبررها) على قوت يومه . اذن فالقصة التي بين ايدينا قصة مريض فعلا . ونحن نعلم في الوقت نفسه ما كان سبب هذا المرض الذي سماه الرسام نفسه . وبصريح العبارة ، بالسويداء ، (لذا كان ينبغي ان أتلى وأطرد السويداء) . والمصدر الاول من مصادرنا الثلاثة ، اي رسالة التوصية بقلم الخوري . لا تأتي الا يذكر حالة الهبوط «dum artis suae progressum emolumentumque secuturum pusillanimitis perpenderet» (١٨) . لكن المصدر الثاني ، اي تقرير الاب فرانسيسكوس ، تمكن من ان يسمي لنا نقطة انطلاق هذا التبوط او الاكتئاب ، اذ يقول بهذا الصدد : «accepta Aliqua pusillanimitate ex morte parentis» (١٩) . كذلك جاء في مقدمة النسخ بالالفاظ نفسها ولكن مقبولة : «ex morte parentis accepta aliqua pusillanimitate» . اذن فقد توفي والده ، ولهذا وقع فريسة السويداء ؛ وعندئذ ظهر له الشيطان ، وسأله عن سر اضطرابه وحزنه الشديدين ، ووعدته بأن «يساعده بكل الوسائل ويسمعه» (٢٠) .

نحن اذن امام شخص يبيع نفسه للشيطان بقية الخلاص من اكتئاب نفسي . وهذه في الحق ذريعة ممتازة ! وهي مفهومة تماما بالنسبة الى اي شخص يقدر على وضع نفسه موضع انسان يعاني آلام مثل تلك الحالة ويعرف ، فضلا عن ذلك ، مدى ضالة قدرة

١٨ - باللاتينية في النص : «انظروا الى تقدم فنه وقبضته ببوط همة» . م -

١٩ - باللاتينية في النص : «وقد اختاره تيوبو الهمة على الخداة وفناء» .

والده» . م -

٢٠ - انظر صورة العنوان الاول والتفسير المواسب لها : الشيطان مبتلي

في هيئة ابورجوازي محترم» .

من القلب على تسكين هذا الداء ، ومع ذلك ، ليس لاحد من قرأنا ان يحزر ما العبارات التي صيغ بها العهد المفرد مع الشيطان او بالاحرى العهدان الانسان . واوامهما كتب بالخبر . وتاليهما حرر بالدم بعد زهاء نصف عام ، وكلاهما محفوظ . كما هو مذكور ، في مذخر ماريازل . ومنسوخ في التذكار .

ان هذين العهدين ليعتبران على العجب الشديدين من زاويتي المثلين . فيما أولا لا تعان على أي التزام من جانب الشيطان مقابل رهن الخلاص الابدي لديه . كما ان الرسام وحده هو الملزم دائما بطلبية الشيطان . وانه ليس بعيد عن المنطق . بل ضرب من العبث . ان يفامر ذلك الرجل بروحه لا لينال شيئا من الشيطان ، بل ليؤدي له شيئا . واغرب من هذا ايضا الالتزام الواقع على عائق الرسام . فالعهد الاول . المكتوب بالخبر . ينص على ما يلي :

انا الموقع هنا ، كرسstof هايتزمن ، اندر نفسي لهذا السيد وكانني ابنه من صلبه لمدة تسع سنوات .  
العام ١٦٦٩ .

وينص العهد الثاني . المكتوب بالدم :

سنة ١٦٦٩

كرستوف هايتزمن . اعهد بنفسي كتابة الى هذا الشيطان ، واعدا بان اكون ابنه من صلبه ، وبان اكون بعد تسع سنوات ملكا له جسدا وروحا .

بعد ان عجبنا بزول كنه متى ما اعطانا ترتيب نص العهد بحيث ينقلب ما يبدو فيه وكأنه مطلب للشيطان الى وعد من جانبه بالاحرى . ويعمل بالتالي ما يطلبه الرسام منه . وعندئذ أخذ هذا العهد المعز معش مباشرة ويقدم قذرا للدون على النحو التالي :

يتعهد الشيطان للرسم ، لسنوات تسع ، بأن يقوم له مقام والده المتوفى . فإذا ما انقضى هذا الاجل ، وقع الرسم جسماً وزرحاً تحت سلطانه ، بحسب الصيغة الدارج استعمالها في هذا النوع من الصفقات . وعليه ، فإن مسار افكار الرسم . التي كانت حاضرة الى فعلته ، يتحدد كما يلي على ما يبدو : لقد فقد . وفاة ابيه . كل رغبة في العمل وكل مقدرة عليه ؛ فان وجد بديلاً لهذا الاب . فامله عندئذ ان يعرض عن هذه الخدمة . وحتى يقدر المرء سوداوياً بعد وفاة ابيه ، فلا بد ان يكون قد احبه حياً جماً . ولكن من المستغرب في هذه الحال ان نخطر في بال الابن فكرة اتخاذ الشيطان بديلاً عن ذلك الاب المحبوب .

- ٣ -

## الشيطان بديل الأب

ان تكن قد اوضحنا بلا مواراة مفزى هذا العهد مع الشيطان بالاستناد الى ذلك التأويل المقلوب . فهذا ما ان يسلم لنا بسـهـ لا اخشى ذلك - فقد هادىء . فبوسع نقد كهذا ان يواجهنا بالاعتراضين التاليين . فليس من الضروري اولا اعتبار العهد عقدا ينص على التزامات الطرفين . بل هو لا يشمل بالاحرى الا على التزام الرسم ؛ على اعتبار ان التزام الشيطان بقي مستبعدا من النص ؛ بوصفه «مضمرا» بنوع ما . والحال ان الرسم يلتزم التزامين : اولا بأن يعتبر نفسه ابن الشيطان لدى تسع سنوات، ثم بأن يكون ملكه جسماً وروحاً بعد مماته . وهذا الاعتراض اذا صح يكون قد قوض احد الاسس التي بنينا عليها استنتاجنا . اما الاعتراض الثاني فمؤداه انه لا يجوز اعطاء عبارة «ان اكون ابنه من صلبه» وزناً اكبر مما ينبغي ؛ وانها قد لا تعدو ان تكون

اسلوباً دارجاً في الكلام على نحو ما فهمها السادة الرهبان . وبالفعل ، لا يترجم هؤلاء الى لائبتهم البتة الموعودة لمسي العهدين . بل يكتفون بالقول بان الرسم نذر نفسه Mancipavit للشيطان ؛ متعهداً بأن يعيش في الخطيئة وبين ينكر الله والتأويل الاقدس . فما الداعي للابتعاد عن هذا التأويل الذي يكاد يكون بديهياً ولا قسر فيه (٢١) ؛ وفي هذه الحال سيكون الامر في غاية من البساطة : انسان سوداوي ، يعترسه العذاب والضييق المميزان لهذه الحالة الهبوطية ، ينذر نفسه للشيطان ويقر له بذلك بأعظم سلطان علاجي . وما علينا ان نهتم اكثر من اللازم بكون هذا الهبوط ناشئاً عن وفاة الاب ؛ فمن الممكن ان تكون له نقطة انطلاق مغايرة تماماً . ومثل هذا الاعتراض متين ومعقول في الظاهر . ومن جديد يجد التحليل النفسي نفسه عرضة للعلامة على تعقيده الاشياء الاكثر بساطة حياً منه بالتمسك . وعلى رؤيته اسراراً ومعضلات حيث لا وجود لها . وعلى توصله الى ذلك بتضخيمه الاشياء الثانوية الصغيرة ، التي لا تعدم نظيرها ايضاً اجلتها الطرف ، وتحميله ايها اوسع الاستنتاجات وأغربها . وبهذا قد نردّ هنا بان اطراح التحليل النفسي على هذا النحو لن يكون من نتيجته الا انقضاء العديد من التشابهات المثيرة وقطع الكثير من الارتباطات المرهفة ، مع انه كان من الممكن تسليط باهر الضوء عليها . فعناقضونا سيجيبون في هذه الحال بأن هذه التشابهات والارتباطات لا وجود لها بكل بساطة . وانها مقحمة من قبلنا إتحاماً

٢١ - متوافق لحر انفسنا ؛ حين سمعنا في موضوع لن ومن حر ذلك العهدان ، على ان نصعبا كذا ينبغي ان يوضع بالفاظ مأثولة وسيلة القيم من قبل الجميع . لكن يكتفينا ان نحافظ على التماس في المعنى ينظر معه استناد تأويلنا اليه .

ببراعة فائضة عن الحاجة .

لن أقول تمهيدا للرد على ذنبك الاعتراضين : لنلزم جانب الاستقامة أو جانب الصراحة ، فهذا ما يفترض بنا أن نفعله على الدوام دونما مجهود خاص ، بل ساذغب الى أبعد من ذلك وأقول : إذا كان نعمة من لا يؤمن سلفا بقيمة التحليل النفسي ، فليس مثال الرسام كرو. هابترمن من القرن السابع عشر هو الذي سيفعله بنا. ولا يدخل أصلا في لبني البتة أن استخدم هذا المثال دليلا على صلاحية التحليل النفسي ؛ بل افترض بالاحرى أن التحليل النفسي معترف به ومقبول ، ثم استخدمه بعد ذلك لتوضيح سر مرض الرسام الشيطاني . وهذا الحق إنما استمدته من نجاح أبحاثنا حول طبيعة الأعصاب بوجه عام . إذ يسعنا التوكيد . بكل تواضع ، أنه حتى أكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة استفلاق ذهن قد طفقوا يسلمون بأنه لا سبيل البتة . بدون التحليل النفسي ، الى فهم الأمراض العصبية .

«هذه السهام وحدها فتحت طرودة» ، هي وحدها : هذا ما يقر به أوليس في **فيلوكيتيس** لسوفوكليس (٢٢) .

فإن صح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهاما عصابيا . فليس لنا أن نعتذر عن نظرنا اليه من الزاوية التحليلية النفسية ، فالقارئ الصغيرة لها أيضا معزاها وقيمتها . وعلى الأخص متى ما كان المطلوب تحديد الشروط التي رأى فيها العصاب الدور . صحيح أنه من الممكن التهويل أو التهوين من شأنها سواء بسواء ، وأنها لمسألة حصافة أن يدرك المرء مدى ما يمكن تعليقه عليها من قيمة . لكن إذا كان نعمة من لا يؤمن بالتحليل النفسي . ولا حتى

بالشيطان ، فلا نملك إلا أن ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة الرسام ، سواء أفلح في تفسيرها بوسائله الخاصة أم لم يجد فيها ما يستاهل توضيحا .

لنعد إذن الى فرضيتنا : أن الشيطان ، الذي يندر الرسام نفسه له ، هو في نظره بديل الأب . والشخص الذي يظهر الشيطان في صورته للمرة الأولى يتجاوب وهذه الفرضية : فيو بورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحية سمراء . ومعطف أحمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ، وإلى جانبه كلب أسود (الصورة ١) (٢٢) . وبعد ذلك يظهر الشبح بمظهر مرعب أكثر فأكثر ، بل ربما جاز لنا أن نقول : بمظهر أكثر أسطورية ؛ فمن عدته قرون ومخالب نسر وأجنحة خفاش . وفي الأخير يظهر الشيطان في المرار في شكل تنين طائر . ولنا عودة لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا أنه لمن المستغرب في ظاهر الأمر أن يقع الاختيار على الشيطان بديلا عن أب محبوب ؛ بيد أن ما ذلك يفرق إلا للوهلة الأولى فحسب ، إذ أننا نعرف وقائع أخرى قيمة بالتحقيق من دهشتنا . فنحن نعلم أولا أن الله بديل للأب ، أو بتعبير أدق أب مبجل ، أو صورة عن الأب كما كان يراه المرء ويحس بوجوده في طفولته ، أو الفرد في طفولته الخاصة ، أو النوع البشري في الأزمنة السالفة بوصفه أب العشرة البدائية . وفي زمن لاحق نظر الفرد الى أبيه غير هذه النظرة ، فرآه متضائل الأهمية بنوع ما ، لكن تلك الصورة الطفلية الأولى لبست قائمة وانصهرت مع البقايا المتوارثة لتذكرى الأب السالف لتؤلف التمثيل الفردي عن الله . ونعلم أيضا ، من خلال التاريخ الحميم للفرد كما يميظ عنه اللثام

٢٢ - فيلوكتيس : في الميتولوجيا الإغريقية يظل من أبطال حصار

طرودة أورته هيرقليس اسمه المسمومة التي لا تخرجه هدفها ، وعلى قصة حياته ينسوفوكليس مسرحياته .

٢٢ - لدى نموت يخرج الشيطان نفسه من كلب أسود من هذا النوع .

ببراعة فائضة عن الحاجة .

لن أقول تمهيدا للرد على ذنبك الاعتراضين : للزم جانب الاستقامة او جانب الصراحة : فهذا ما يفترض بنا ان نفعله على الدوام دونما مجهود خاص ، بل ساذهب الى ابعد من ذلك واقول : اذا كان ثمة من لا يؤمن سلفا بقيمة التحليل النفسي ، فليس مثال الرسام كرو . هابترمن من القرن السابع عشر هو الذي سيفنعه بهاء . ولا يدخل اصلا في ثبتي البتة ان استخدم هذا المثال دليلا على سلامة التحليل النفسي ؛ بل افترض بالاحرى ان التحليل النفسي معترف به ومقبول ، ثم استخدمه بعد ذلك لتوضيح سر مرض الرسام الشيطاني . وهذا الحق انما استخدمه من تجساح اباحتنا حول طبيعة الاعصاب بوجه عام . اذ يسمن التوكيد . بكل تواضع ، انه حتى اكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة استفلاق ذهن قد طفقوا يسمون بأنه لا سبيل البتة . بدون التحليل النفسي ، الى فهم الامراض العصبية .

« هذه السهام وحدها فتحت طرودة ، هي وحدها » : هذا ما يقر به اوليسس في فيلوكتيتس لسوفوكليس ( ٢٢ ) .

كان صبح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهاما عصبيا . فليس لنا ان نتعذر عن نظرنا اليه من الزاوية التحليلية النفسية . فالقرائن الصغيرة لها ايضا مغزاها وقيمتها . وعلى الاخص متى ما كان المطلوب تحديد الشروط التي راي فيها العصاب النور . صحيح انه من الممكن التهويل او التهوين من شأنها سواء بسواء . وانها لمسألة حصافة ان يدرك المرء مدى ما يمكن تعليقه عليها من قيمة . لكن اذا كان ثمة من لا يؤمن بالتحليل النفسي ، ولا حتى

بالشيطان ، فلا تملك الا ان ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة الرسام ، سواء اقلح في تفسيرها بوسائله الخاصة ام لم يجد فيها ما يستاهل توضيحا .

لنعد اذن الى فرضيتنا : ان الشيطان ، الذي يتذر الرسام نفسه له ، هو في نظره بديل الاب . والشخص الذي يظهر الشيطان في صورته للمرة الاولى يتجاوب وهذه الفرضية : فهو يورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحية سمراء ، ومعطف احمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ، والى جانبه كلب اسود ( الصورة ١ ) ( ٢٣ ) . وبعد ذلك يظهر الشبح بمظهر مرعب اكثر فاكثر ، بل ربما جاز لنا ان نقول : بمظهر اكثر اسطورية ؛ فمن عدته قرون ومخالب نسر واجنحة خفاش . وفي الاخير يظهر الشيطان في المزار في شكل تين طائر . ولنا عودة لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا انه لمن المستغرب في ظاهر الامر ان يقع الاختيار على الشيطان بديلا عن اب محبوب ؛ بيد ان ما ذلك بفريق الا للوهلة الاولى فحسب ، اذ اننا نعرف وقائع اخرى قيمة بالتخفيف من دهشتنا . فنحن نعلم أولا ان الله بديل الاب ، او بتعبير ادق اب مبدل ، او صورة عن الاب كما كان يراه المرء ويحس بوجوده في طفولته ، او الفرد في طفولته الخاصة ، او النوع البشري قس الازمة السالفة بوصفه ابا العشرة البدائية . وفي زمن لاحق نظر الفرد الى ابيه غير هذه النظرة ، قرأه متضائل الاهمية بنوع ما ، لكن تلك الصورة الطفولية الاولى لبثت قائمة واندجرت مع البقايا المتوارثة لذكرى الاب السالف لتؤلف التمثل الفردي عن الله . ونعلم ايضا ، من خلال التاريخ الحميم للفرد كما يميظ عنه اللثام

٢٢ - فيلوكتيتس : في الميتولوجيا الاغريقية بطل من أبطال حصار طروادة اورته هيرقليس اسمه السحرة التي لا تخطئه هدفها ، وعلى قصة حياته ينسوفوكليس مسرحياته .

٢٣ - لدى لونه يخرج الشيطان نفسه من كلب اسود من هذا النوع .

التحليل ، أن العلاقات لذلك الأب كانت ، وبمسا من البداية ، تنازعية ، أو أنها اشحت كذلك على كل حال في وقت مبكر ، جعلت أنها كانت تشتمل على تيارين الفعاليين متناقضين ، أي ليس فقط على عاطفة خضوع وحب ، بل كذلك على عاطفة عداوة وتحد . وهذا النزاع عنه يبعث ، بحسب رؤيتنا للأمور ، على علاقات البسرة بالهيا . وإنما بهذا النزاع الذي لا نهاية له بين العنيتين إلى الأب ، من جهة أولى ، وبين الخوف والتخسدي البتويين ، من الجهة الثانية ، أمكن لنا أن نفسر مشاحي هامة من الأدبان وتطورات حاسمة على صعيدها (٢٤) .

بالفاس ، تعلم أن الشيطان الرجيم ينظر إليه على أنه عدو الله وفريب الصلة للفاية بالطبيعة الإلهية في آن واحد . بيد أن تاريخه ليس معروفاً بمثل العمق الذي يعرف به تاريخ الله ، على اعتبار أن الأدبان لم تبس كلها إبليس الشرير . خصه الله ؛ ونموذجه في الحياة الفردية يبقى بعيداً عن الأنسوار في بادئ الأمر ، لكن الشيء الأكيد أن الآلهة يمكن أن تنقلب إلى إبليس أشرار إذا ما دحرتها آلهة غيرها . وعندما يغلب شعب مسن الشعوب على أمره ، فليس يندر أن تستحيل آلهته الساقطة إلى إبليس في نظر الشعب الغالب . لقد كان إبليس العقيدة المسيحية ، شيطان القرون الوسطى ، هو نفسه ملاكا ساقطاً بحسب الميتولوجيا المسيحية ، ومن جوهر واحد والله فسي الأصل . ولا حاجة بنا إلى رهاقة تحليلية كبيرة كيما نحزر أن الله والشيطان كانا متماثلين في التوبة في البداية ، شخصية واحدة انشطرت في زمن لاحق إلى وجهين محبوب كل منهما بصفتين

متعارضة (٢٥) . وفي الأزمنة البدائية للأدبان كان الله ذاته ينقسم بجميع الخصومات المخيفة التي عرّيت في زمن لاحق إلى عيظته . أن هذه لسيرة نفسية معروفة لدينا جيداً . إذ يتحليل التمثل المنطوي على تناقض وتنازع إلى ضدين صارخي التباين . لكن هذه التناقضات هي طبيعة الله البدائية هي انعكاس للأزدواجية التي لبعين على علامات الفرد بآية بالذات . فإن يكن اللسه الرحيم والعدل بديلاً للأب . فلم يأخذنا العجب إذا ما تجسد الموقف التقيض . موقف الحق والكره والتمرد ، في الخسلاق الشيطان لا وعلى هذا الأساس . يكون الأب هو النموذج البدائي والفردية لله والشيطان على حد سواء . ومن هذا المنطلق فإن الأدبان لا بد أن تكون حاملة هي نفسها لأن لا يحصى خلفه فيها واقع أن الأب السافي كان كانا خبيث الطوية إلى غير ما حد ، أشبه بالشيطان منه بالله .

من المؤكد أنه ليس من السهل إلى هذا الحد اكتشاف السر التصور الشيطاني للأب في حياة الفرد النفسية . لكن حين يرسم الفلام الصغير وجوه مكشرة وكاريكاتورية ، فقد نفلح في أن نثبت أنه يهزأ من آية لينا ؛ وعندما يخاف الصبيان والبنات من اللصوص وقطاع الطرق . فيوسعنا بغير ما صعوبة أن نتعرف في هؤلاء الآخرين مشتقات الأب (٢٦) . كذلك فإن البهائم التي تظهر في أروحة الحيوان لدى الطفل هي في أكثر الأحيان بدائل للأب ، مثلما كان الحيوان الطوطمي بديله في الأزمنة السالفة .

٢٥ - الفرات ، وإيك : الله الاسدي والله الغريب . فسي إيصالو ٢٠٠٠  
١٩٢٢ : في الفصل الثامن : الله والشيطان .  
٢٦ - بيدو الأب الذهب في حياية المجدبان السبعة المعروفة وأنه يتعرف جرم سرقة مع خلق .

٢٤ - انظر الطوطم والتابو ، ونسوية من التفصيل : د. وايت : مشكلات علم النفس الديني ، ١٠٠ ، ١٩١٩ .



لكن من التادر ان نعاين ، بدئل الجلاء الذي تعانين به لدى رسامنا المعصوب (٢٧) من القرن السابع عشر ، واقع ان الشيطان هسو صورة عن الاب وبديله . ولهذا اعربت عن املي ، في بداية هذا النص ، بان تهدينا قصة مرض شيطاني من هذا النوع الى عرق معدن خالص ليس لنا ان نحصل على نظيره من فلزات الترابطات والأعراض العصابية لعصر تالر - عصر ما عاد يؤمن بباطسل المعتقدات ولكنه بات مصابا بالمقابل بهجاس المرض - اقول : ليس لنا ان نحصل على نظيره من هذه الفلزات الخام الا بمجهود تحليلي شاق (٢٨) .

وأغلب الظن ان اقتناعنا هذا سيتعزز اكثر بعد اذا ما تعمقنا في تحليل مرض رسامنا . فليس ثمة من شيء خارق للمألوف اذا ما عانى شخص من الاشخاص ، على اثر وفاة والده ، هبوطا سوداويا وكفا عن العمل . وسنستنتج في هذه الحال انه كان يكنّ لذلك الاب حبا جم . وسنستذكر كيف تتظاهر سويداء حادة في كثير من الاحيان كتعبير عصابي عن الحداد . ولن نكون في هذه الحال الا على صواب ، لكن بشرط الا

#### ٢٧ - المعصوب Névrosé : المصاب بالعصاب .

٢٨ - لن لم نفلح الا فيما تدر في تعاليلنا في التشايق الشيطان كيدل للاب ، فلعل مرد ذلك الى ان هذا الوجه من وجود ميتولوجيا القرون الوسطى ما عاد منذ زمن يلعب دوره لدى الأشخاص الذين يقصدوننا لتحليلهم . اما في نظر مسيحي القرون الماضية الورع كان الإيمان بالشيطان تل واجبا لا يقل إلزامية عن الإيمان بالله . فقد كان بحاجة الى الشيطان ليما يتمتع من مواجهة الله . ولما تناقص الإيمان في زمن لاحق ، ولتسياب شيء ، اصاب اول ما اصاب شخص الشيطان . ولما امتلأ الجراة على تطبيق فكرة الشيطان كيدل عن الاب على تاريخ الحضارة ، لاسفاه منا معاديات التخسرة في العصر الوسيط ان نلظر اليها نظرة جديدة .

نستنتج من ذلك ان تلك العلاقات كانت متسوجة من حب خالص . بل على العكس : فالحداد على فقدان الاب سيتحول بسهولة اكبر الى سويداء اذا ما كانت العلاقات به تتسم بسعة الازدواجية . ونحن . بتشديدنا للهجة على هذه الازدواجية . نهى انفسنا لفهم عملية الانقاص من قدر الاب ، كما يفصح عنها عصاب الرسام الشيطاني . ولو كان متاحا لنا ان نجمع من المعلومات عن شخص كره . هابتزمن بقدر ما تجمع منها عن مريض من مرضانا الذين تقوم بتحليلهم . لكان امكن لنا بيسر وسهولة ان نتبحر في تلك الازدواجية ، وان نحمل المريض على ان يتذكر من جديد متى وفي اية مناسبة دعاه الداعي الى ان يخشى جانب ابيه ويغضه ، ولكن امكن لنا بوجه خاص ان نكتشف العوامل الطارئة التي انضات الى العوامل النمطية لكراهية الاب ، هذه العوامل التي تكمن جذورها حتما في العلاقات الطبيعية بين الاب والابن . ولعلنا كنا سنجد على هذا الاساس تفسيرا خاصا للكف عن العمل . ومن المحتمل ان يكون الاب في هذه الحال قد عارض رغبة ابنه في ان يصير رساما ؛ ومن لم فان العجز الذي انتاب هذا الاخير ، غداة وفاة والده ، عن مزاولته فنه ليس ، من جهة اولى ، سوى تظاهر للطاعة المرجاة - وهذه ظاهرة معروفة جيدا - كما ان هذا العجز الذي سد في وجه الابن سبل تدبر معاشه وقوت يومه قد زاد . من الجهة الثانية ، من تحسره على الاب بصفته حاميا من هبوم الحياة . ثم ان هذا العجز ، بوصفه طاعة متاخرة ، تعبير عن ليكيت الضمير وقصاص ذاتي بالغ النجع .

بالنظر الى تعذر اخضاع كره . هابتزمن ، المتوفى سنة ١٧٠٠ ، لمثل هذا التحليل ، فلا مناص لنا من الاقتصار على تسليط الضوء على خصوصيات قصة مرضه القمينة بان تزودنا بتوجيهات بصدد المنطلقات النمطية لموقف عدائي حيال الاب . وهذه الخصوصيات ليست بالكثيرة عددا ، كما انها ليست ملفنة كثيرا للنظر ، ولكنها



باديء ذي بدء دور العدد ٩ . فالعهد مع الشيطان معنوسود  
لتسع سنوات . ورواية خوري بوتنبرون الجديرة بالتصديق بلا  
جدال تصح من ذلك بوضوح : Pro Novem Annis Syngraphen  
Scriptam Tradidit (٢٩) . ورسالة التوجيهية هذه .  
المؤرخة في ١ ايلول ١٦٧٧ . لدينا ايضا على ان الاجل سينقضي  
في غضون بضعة ايام : Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus  
Futurus Appropinquat (٣٠) . وعلى هذا يكون العهد قد وقع  
في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ (٣١) . ويرد ذكر العدد تسعة في هذه الرسالة  
مرة اخرى ايضا : Nonies - تسع مرات - أي ان الرسام قاوم  
تسع مرات لما يزعم تجارب الشيطان قبل ان يسقط . وهذا  
التفصيل لن يرد له ذكر في الروايات اللاحقة . وقد جاء ايضا في  
شهادة رئيس الدير Post Annos Novem (٣٢) . ويردد  
الناسخ في بيده Ad Novem Annos (٣٣) . مما يدل على ان هذا  
العدد لم يعتبر مما لا يعتد به .

ان العدد تسعة مألوف لدينا في الاستهياكات العصابية . فهو  
عدد شهور الحبلى ، وهو يوجه انتباهنا على الدوام : حال ظهوره ،  
الى تخيل يتعلق بالحمل . صحيح ان الكلام يدور ، بالنسبة الى  
رسامنا ، عن تسعة أعوام لا عن تسعة شهور ؛ وقد يقال ايضا ان

٢٩ - باللاتينية في النص : «سنته سكا مكتوبة اجله تسع سنوات» . سم -

٣٠ - باللاتينية في النص : «سينتهي الاجل في ٢٤ من الشهر الجاري» .

- ٢ -

٣١ - سنهزم فيما بعد بالنقاش الممثل في ان العهدين يحملان تاريخا  
واحد هو سنة ١٦٦٩ . - ٣ -

٣٢ - باللاتينية في النص : «بعد تسع سنوات» . سم -

٣٣ - باللاتينية في النص : «التسع سنوات» . - ٢ -

العدد تسعة هو بعد ذاته عدد ذو مغزى ودلالة . ولكن مما  
يبد لنا ان العدد تسعة ، بوجه عام ، لا يدين بنقص كبير من  
حظوته لدوره في الحمل ؛ وليس لتحويل الشهور التسعة الى  
سنوات تسع ان يضلنا عن سواء السبيل . فنحن نعرف من الحلم  
كيف ان «نشاطنا النفسي اللاشعوري» يتصرف على هواه بالأعداد .  
فان صادفنا في حلم من الاحلام العدد خمسة ، على سبيل المثال ،  
فلا بد ان نرجعه في كل مرة الى عدد «خمس» له اهميته في  
حياة النقطة ؛ فالمقصود في الواقع خمس سنوات كفارق فسي  
السن ، او شركة من خمسة اشخاص ، لكن هذه الخمسات تنبئ  
في الحلم في شكل خمس ورفات نقدية او خمس لمار . اذن  
فالعدد يبقى هو هو ، لكن ما يدل عليه هو الذي يتغير تبعاً لحاجات  
التكيف والنقل في الحلم . واسع سنوات في الحلم يمكن بسهولة  
ان تقابل تسعة شهور في الواقع . ويتصرف عمل الحلم بأرقام  
حياة النقطة بطريقة اخرى ايضا ، اذ يضرب صفحا ، وبالإمالة  
مطلقة ، عن الأصفار ، ولا يعتبرها اعدادا . وعلى هذا فسن  
خمس دولارات في الحلم يمكن ان تمثل خمسين دولارا او  
خمس مئة او خمسة آلاف دولار في الواقع .

وثمة نقطة تفصيلية اخرى في علاقة الرسام بالشيطان تردنا  
يدورنا الى الجنسية Sexualité . فقد رأى الشيطان لأول  
مرة ، كما أسلفت الإشارة ، في صورة بورجوازي محترم . لكن  
سرعان ما تبدى له الشيطان ، في المرة الثانية ، عاريا ، شائمه  
الشكل ، وله ثديا امرأة . وفي كل ظهور من ظهوراته التالية  
سيكون له زوج او اكثر من الانداء . وفي واحد من هذه المظهرات  
فقط سيحمل الشيطان ، علاوة على الانداء ، قضيبا ضخما له  
نهاية ثعبانية . وهذا الالتجاء على تمييز الجنس المؤنث بالانداء  
جسيمة ومندلية الا إشارة هناك على الإطلاق الى الاعضاء  
التناسلية المؤنثة) قد يبدو متناقضا تناقضا صارخا مع فرضيتنا

القائلة بأن الشيطان هو لرسامنا بديل عن الاب . والحق ان مثل هذا التمثيل للشيطان هو بحد ذاته غريب ومخالف للمألوف . صحيح انه حينما يقدو «ابليس» مفهوما من مفاهيم النوع ، وانه حين يظهر بالتالي عدد كبير من الابالسة ، فلا عجب ان وجدنا بعض هذه الابالسة وقد صورت في صورة اناث ؛ لكن يخيل الي ان «ابليس» ، بشخصيته البارزة والقوية ويكونه سيد الجحيم وعدو الله ، لا يمثل ابدا الا ذكرا ، بل اكثر من ذكر ، بقرون وذنوب وقضيب تعباني كبير .

يبد انه باستطاعتنا بالاستناد الى تينك القرينتين البسيطتين ، ان نحزر ما العامل النمطي الذي يشرط الجانب السلبي مسن علاقات الرسام بابيه . فما يصارع ضده انما هو الموقف المؤث ازاء هذا الاب ، وهو موقف يدرك نقطة اوجه في تخيل انجاب طفل منه (تسع سنوات) ، وغالبا ما تلتقي في تحاليلنا هذه المقاومة التي تتخذ اشكالا مثيرة للاستغراب في التحويل Transfert وتنصب في وجهنا عقبات لا يستهان بها . وهاهوذا رسامنا وقد نشط لديه من جديد ، تحت تأثير حداده على ابيه الفقيد وحينئذ المتعاطف اليه ، تخيل الحمل الذي كان قد كبته منذ زمن بعيد ، فما عاد امامه من وسيلة للدود عن نفسه ازاء هجمة هذا التخيل سوى العصاب والانتقاص من قدر الاب .

لكن لماذا يحمل هذا الاب المحطوط الى دور ابليس صفات المرأة الجسمانية ؟ ان هذه السمعة تبدو للوهلة الاولى عسيرة التأويل ، لكن سرعان ما يحضر امامنا تفسيران يزاحمان واحدهما الآخر ، وان كانا لا يتنافيان . فالمؤلف المؤث من الاب ضرب عليه نطاق من الكبت حالما ادرك الصبي الصغير ان منافسة المرأة على حب الاب شرطا ، وهو التخلي عن عضو ذكوره ، اي الخصاء . وعلى هذا يكون نيد الموقف المؤث نتيجة الصراع ضد الخصاء ،

وهو يجد قياسيا اقوى تعبير له في التخيل المعاكس ؛ خصاء الاب نفسه وتحويله الى امرأة . وعلى هذا الاساس تكون انداء ابليس بمثابة إسقاط لاثرة الابن على البديل الابوي ، اما انفسنا الثاني لهذه الصفات الجسمانية من سمات ابليس فمعطوفة على «عذابي» وبموجبه يكون هذا الشكل قرعة على ان الحب العفلي للام ضد حول الى الاب وانه يتغوى بالتالي على تثبيت اموي سابق توي ومسؤول الى حد ما عن العداء ازاء الاب . وما الاثناء الشامية الا علامة ايجابية على جنس الام . وهذا في زمن لا يعرف فيه الغافل بعد السمعة السلبية للمرأة . اي غياب التقصيب (١٢٤) .

ان كان النفور من قبول بالخصاء قد جعل من المتعذر على رسامنا ان يتحرر من حنينه الى الاب ، فيسير علينا في هذه الحال ان نفهم ان يكون قد قصد صورة الام طليا للعون والخلص . ولهذا يصرح ان والدة الله القديسة الماريازية هي وحدها القادرة على تخليصه من العبد الذي تعهد به لابليس ، وفي يوم ميلاد العذراء (٨ ايلول) يغور بالفعل بالخلص . ولن يقضى لنا اسدا بطبيعة الحال ان نعرف ان لم يكن اليوم الذي عقد فيه العهد . ٢٤ ايلول . يوما له عدونه القدسي الخاص هو ايضا .

ولعل اكثر ما يقاب بالنفور وعدم التصديق من الراشد السوي في افتراضات التحليل النفسي عن حياة الطفل النفسية هو الموقف المؤث للصبي الصغير من الاب . وتخيل الحمل الذي يترتب عليه . وما سار في مقدورنا ان نتكلم عن هذا الموقف بلا مراعاة وبلا حاجة الى طلب مسوغات له الا منذ ان نشر رئيس المحكمة العليا في اقليسم الساكس ، دانبيبل بول شريير

٢٤ - انظر من طقوله ليوناردو دافنشي ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤ .

Schreber ، قصة مرضه الذهاني وشفاؤه شبه السام (٢٥) .  
وقد اتاح لنا نشر هذا الكتاب الثمين الإطلاع على ما يشي : فقص  
ساور السيد رئيس المحكمة العليا . وهو في حوالي الخمسين من  
العمر . يقين مطلق بأن الله = المتسم بالسمت السيلة التعرف  
لوالده الرئيس . الطبيب المحترم الدكتور شريبير . قد أبرم قراره  
بأن يخصه ويأن يعامله كامرأة ويأن يستولده بشرا جديدا من  
طينة آل شريبير لو كان هو نفسه بلا أولاد من زواجه . وتحت وطأة  
الصراع الذي خاض غماره ضد نية الله تلك . التي بدت له ظالمة  
منحرفة بقدر ما هي «عاكسة لنظام الكون» . ستط مريضاء . وظهرت  
عليه جميع أعراض الذهان الهذاني Paranoia الذي ما ليث  
أن خفت حدته مع مر السنين حتى لم يبق منه سوى رسايسة  
طليقة . وبديهي أن كاتب قصة مرضه ما كان ، على تبايعته ،  
ليشبه بأنه يكشف فيها عن عامل تعطي من عوامل نشوء الأمراض  
النفسية .

هذا الثغور من الخضاء أو من الموقف المؤث سلخه الفريد  
آدار (٢٦) من سياقه العضوي وأرجعه . من خلال علاقات سطحية  
أو كاذبة ، إلى ارادة القوة ، وصادر على أنه ميل مستقل عمده  
باسم «الاحتجاج الذكوري» . لكن بما أن العصاب لا يمكن أن  
ينشأ إلا عن نزاع بين ميلين ، فمن المسوغ لنا أن نرى غلة «جميع»

الأعصبة في الاحتجاج الذكوري كما في الموقف المؤث الذي هو  
موضوع هذا الاحتجاج . ولا مرأ في أن للاحتجاج الذكوري دورا  
مطرذا في تكوين الطبع . وهو دور بالغ الأهمية في بعض  
الانعاط ، كما لا مرأ في أن الاحتجاج المشار إليه ينتصب أمامنا  
في تحليل المعصوبين من الرجال . في صورة مقاومة عنيفة .  
ويقين التحليل النفسي الاحتجاج الذكوري يحق قيمته بدالسة  
مقدرة الخضاء . من دون أن يكون في وسعه أن يثبت كلية قدرته  
أو كلية حضوره في الأعصبة . ومن بين جميع حالات الاحتجاج  
الذكوري المتظاهر في جملة من ردود الأفعال والسمات الطبيعية  
البيئية . كانت أبرز الحالات التي استدعت تدخل حالة عصاب  
وسواسي أمكن فيها للنزاع غير المحلول بين الموقف المذكور والموقف  
المؤث (خوف الخضاء ولذة الخضاء) أن يعبر عن نفسه بوضوح  
وجلاء . زد على ذلك أن المعالج كانت تتشابه استيهامات مازوخية  
تتجه جميعها باتجاه الرغبة في القبول بالخضاء ، ولقد وصل به  
الامر ، تحت دفع هذه الاستيهامات ، إلى طلب اشباع مادي لها  
بطريقة شاذة . وكانت حالته في جعلتها تقوم - شأنها أسلا شأن  
نظرية آدار - على أساس من الكبت ونفي التثبيتات الحبية العائدة  
إلى الطفولة الأولى .

لقد وجد الرئيس شريبير سبيله إلى الشفاء حين قر عزمه على  
العزوف عن مقاومة الخضاء وعلى الارتضاء بالدور المؤث الذي  
قيّضه الله له . فساوره عندئذ شعور بالهدوء والصفو والطمأنينة ،  
واستطاع أن يطلب وأن يحقق بنفسه خروجه من المصح العقلي ،  
وأن يحيا حياة سوية ، وذلك باستثناء النقطة البتيمة التالية :  
وهي تكريسه بضع ساعات من كل يوم لشؤون أولته . وقصد  
رسخ لديه الاقتناع بأن التقدم الوليد لهذه الأخيرة سيدرك لا محالة  
الهدف الذي عيته له الرب .

٢٥ - د.ب. شريبير : مذكرات مريض عصبي ، لايبزغ ١٩٠٧ ، دار مع  
تحليل لحالة شريبير : ملاحظات تحليلية نفسية حول السيرة الذاتية لاصاية  
بالذهان الهذاني . في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي ١٩٣٤ - العدد ١ -  
٢٦ - الفريد آدار : طبيب وعالم نفس يسري ١٨٧٠ - ١٩٣٧ ، دار مجد  
أكبر الشقائين عرفتهما حركة التحليل النفسي . ووتسبع مذهب علم النفس  
الفردى والطبي .

## العهدان

تغطي قصة رسامنا على تفصيل فريد مثيل للأنباء . تمثل في تصريحه بأنه عقد مع ابليس عهدين مختلفين .

وقد نص العهد الأول . المكتوب بالحبر الأسود . على ما يلي :

«أنا الموقع أدناه . كرم . ه . . . أندر نفسي لهذا

السيد وكنتي ابنه من سنه لمدة تسع سنوات» .

أما نص العهد الثاني . المحرر بالدم . فكما يلي :

«كرم . ه . . . أعهد بنفسى كتابة الى هذا الشيطان .

وأعدا بأن أكون ابنه من صلبه وبأن أكون بعد تسع

سنوات ملكا له جسدا وروحا» .

والنسخان الاسلطان لهدين العهدين كانتا موجودتين بطبيعة

الحال ، لدى تحرير **التذكار** . في محفوظات دير ماريازل ؛ وكانتا

كلاهما تحملان تاريخا واحدا هو سنة ١٦٦٩ .

لقد أثبت بذكر هذين العهدين تكرارا ، وسوف أوليهما الآن

مزيدا من الاهتمام . وأن يكن خطر المبالغة في التدقيق فليس

التفاصيل يبدو هنا كبيرا فعلا .

إنه لأمر غريب أن يندر شخص نفسه لابليس مرتين . وعلى

نحو يحل معه العهد الثاني محل الأول من دون أن ينسخه ويحذف

مفعوله . ولعل من ألف قصص ابليس وأعداها . لن تأخذه

الدهشة التي أخذتنا . ولكن لا املك . من جانبى . إلا أن أرى

في ذلك سمة تفرد بها الحالة التي هي موضوع بحثنا . ولقد

ساورني الشك حين لاحظت أن هذه النقطة هي بالتحديد النقطة

التي لا تنفق حولها الروايات . والمحال أن دراسة هذه التناقضات  
ستقودنا على نحو لا متوقع الى تفهم أعمق لحالة مريضنا .

أن الامر ، بموجب رسالة النوصية الصادرة عن خسوري

بوتنبرون . فهو يمتننى البساطة والوضوح . فبني لا نذكر سوى

عهد واحد كتبه الرسام بالدم قبل تسع سنوات وكان يفترض فيه

أن يحين أجله في غضون بضعة أيام . في ٢٤ ايلول ؛ وعليه فإن

هذا العهد قد حرر في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ ؛ لكن هذا التاريخ ، الذي

نستطيع استنتاجه يقين . لم يرد له . مع الاسف ، ذكر صريح .

وبالمقابل فإن الامر يبدو أشد تعقيدا بموجب شهادة رئيس

الدير فرانسيسكوس المؤرخة . كما نعلم ، بعد بضعة أيام (في ١٢

ايلول ١٦٧٧) . ولا بد لنا من التسليم ، بناء عليها ، بأن الرسام

قد أدلى في غضون ذلك بمعلومات أكثر تفصيلا . فقد جاء في

الشهادة المذكورة أن الرسام وقع عهدين . الأول في ١٦٦٨ (وذلك

كما هو مفروض بالفعل بموجب رسالة النوصية) ، وقد حرر

بالحبر الأسود ، والثاني في **السنة التالية ١٦٦٩** (٢٧) ، وقد حرر

بالدم . والعهد الذي أعيد اليه يوم ميلاد العذراء كان العهد الذي

كتب بالدم ، أي العهد الثاني المعقود سنة ١٦٦٩ . وهذا لا

يستثنى من شهادة رئيس الدير ، إذ كل ما جاء فيها يصدد ذلك

هو فقط ما يلي : Schedam Redderet (٢٨) و Schedam Sibi

Porrgentem Conspexisset (٢٩) ، وكان الامر لا يعدو

أن يكون أمر شك واحد . ولكن ذلك يستثنى من قصة القصة ،

وكذلك من عنوان **التذكار** الملون الذي تشاهد فيه توضوح الكتابة

الحمراء على الصك الذي يمسك به التنين الشيطاني . وكما تقدم بنا القول سارت الأمور لاحقاً على الوجه التالي : فقد رجع الرسام في ايار ١٦٧٨ الى ماريانزل ، بعد ان تعرض في فيينا لهجمات جديدة من قبل ابليس ، وقدم التماسه الذي طلب فيه ان تعاد اليه ، بشفاقة جديدة من العذراء القديسة ، الوثيقة الاولى المكتوبة بالحبر . والطريقة التي تم بها ذلك لم توصف هذه المرة بالتوسع الذي وصفت به في المرة الاولى . فقد ورد القول فقط qua luxta votum Reddita (٤٠) ، وفي موضع آخر بروي الناسخ ان هذا العيد عينه «المدعوك والممزق الى اربع» رمى به الشيطان الى الرسام ، في ٩ ايار ١٦٧٨ ، في حوالي الساعة التاسعة مساء .

يبد ان العهدين يحملان كلاهما تاريخاً واحداً : سنة ١٦٦٩ . فيما ان هذا الاختلاف لا يعني شيئاً على الإطلاق ، وإما ان يحملنا على التفكير على النحو التالي :

إذا اعتبرنا ان بيان رئيس الدبر هو الاكمل ، نهضت امامنا إشكالات شتى . فحين اعترف كز. ه... لخوري بوتنبرون بأنه فريسة للاحقاق ابليس وأن أجل الاستحقاق بات وشيكاً ، ما كان من الممكن ان يذهب به الفكر (في سنة ١٦٧٧) الا الى العيد المعقود سنة ١٦٦٨ ، اي العيد الاول ، المحرر بالاسود (وهو العيد الذي لا تشير رسالة التوصية الى صك سواه، وأن نعتته بأنه مكتوب بالدم) . غير انه لم يعد له من هم بعد بضعة ايام ، في ماريانزل ، الا ان يحصل من جديد على الثاني ، المكتوب بالدم ، والذي لم يحن بعد أجل استحقاقه (١٦٦٩-١٦٧٧) ، من دون ان يبالى باستحقاق أجل الاول . وهذا العيد الاول لا يعود الى المطالبة به الا في سنة ١٦٧٨ ، اي في السنة العاشرة من عقده . ثم ما علة تأريخ العهدين

كليهما سنة واحدة هي سنة ١٦٦٩ . مع ان واحدهما معزوز بعبارة صريحة الى «السنة التالية» (٤١) ؟

يبدو ان الناسخ احس بهذه الاشكالات ، فحاول لدليلها . ففي مدخله بتقيد بيان رئيس الدبر ، لكنه يعدله في نقطة واحدة . فهو يقول ان الرسام عقد في سنة ١٦٦٩ مع الشيطان عهداً كتب بالحبر . وبعد ذلك Deinde Vero ، بالدم . وبضرب صفحا عن المعطيات الشكلية للروايتين - بموجب هذه المعطيات يستحق أجل احد العهدين في سنة ١٦٧٨ - كما يغض النظر عن الملاحظة التي وردت في شهادة رئيس الدبر من ان تاريخ السنة قد تبدل بين توقيع كلا العهدين ، كيلا يخالف التاريخ الذي يحمله الصكان اللذان اعادهما ابليس .

ففي شهادة رئيس الدبر ، وبعد عبارة : **في السنة التالية ١٦٦٩** ، وردت بين قوسين هذه الفقرة :

Sumitur Hic Alter Annus Pro Nondum Completo Ut  
Saepe In Loquendo Fieri Solet, Nam Eundum Annum Indi-  
cant Syngraphae Quarum Atramento Scripta Ante Prae-  
sentem Attestationem Nondum Habita Fuit. (٤٢)

وهذه الفقرة تدليس لا مرية فيه من جانب الناسخ ، لأن رئيس الدبر ، الذي لم يقع بصره الا على صك واحد ، لا يستطيع ان يشهد على انهما يحملان كلاهما تاريخاً واحداً . ويبدو على كل حال ان الغرض من استعمال القوسين هو الإشارة الى ان ما بينهما

٤١ - باللاتينية في النص : Anno Subsequenti :

٤٢ - باللاتينية في النص : «هذه السنة الاخرى تعتبر غير مكتملة بعد كما درجت العادة على القول ، لان الصكين ، اللذين لم يحروا بالحبر قبل هذه الشهادة ، يشيران الى سنة واحدة» .

٤٠ - «قاميد اليه حسب طلبه» .



إضافة من خارج الشهادة . وهذه الإنسافة المضممة بين قوسين هي بمثابة محاولة أخرى من جانب الناسخ لتدليل استنساخات انتشار إليها . فلا شك في أن هذا الأخير كان مقدّم على العهد الأول وقد عقد فعلاً في سنة ١٦٦٨ . ولكن بما أن السنة كانت قد تقدمت كثيراً أشهر الأول . فلا بد أن الرسام قد سبق تاريخه بسنة واحدة . وهكذا بات للعقدين كليهما تاريخ واحد . وكونه قد أبرج لنفسه اللجوء إلى ما درجت العادة على اللجوء إليه في كثير من الأحيان في التقارير الشفهية يجعل كل هذه المحاولة التفسيرية باطلة من الأساس . وهي لا تعدو بالأصل أن تكون ضرباً من التملص السريع .

لست أدري أن كان عرّض هذا قد ترك أثراً في القاريء وحمله على الاهتمام بهذه التفاصيل . ولقد كان يخيل إلى أنه من المنحبل إعادة وضع الأمور في نصابها على نحو لا ريب فيه . لكنني توصلت ، وأنا أدرس هذه القضية المختلفة . إلى افتراض من شأنه أن يهدينا بصورة طبيعية تماماً إلى الكيفية التي حدثت بها الأمور ، حتى وإن تكن الشهادات المكتوبة لا تتفق البتة وإياها . فإنا اعتقد أنه حين قدم الرسام إلى ماريانزل للمرة الأولى لم يتكلم إلا عن عهد واحد ، حرّر بالدم بحسب ما كان متبعاً ، وكان مفروضاً به أن يستحق أجله قريباً ، فهو بالتالي قد عقد فسي أيلول ١٦٦٨ ، تماماً كما جاء القول في رسالة التوصية الصادرة عن الخوري . وفي ماريانزل أبرز أيضاً عهد الدم هذا بوصفه العهد الذي أعاده إليه المنس بارغام من الأم القديسة . ونحن نعلم ما حدث بعد ذلك . فسرعان ما تدرّج الرسام المحج وقصد فينتسا حيث شعر بالفعل أنه قد قرّح عنه إلى منتصف تشرين الأول . لكن عندئذ عاودته الآلام والثرؤى التي عزاها إلى مساعى الشيطان .

يشك ، إلا بقى استقلالاً حسناً في ماريانزل . وتخلصاً من هذه الورطة تخيل عهداً ابتدالياً سابقاً . كتب بالحبر . وذلك كيما يبدو معقولاً أن هذا العهد قد طُغى عليه في الأهمية عهد آخر ، لاحق . حرر بالدم . ولدى عودته إلى ماريانزل استرد هذا العهد الأول المزعوم . وعندئذ تحرر حقاً من الشيطان . لكنه فعل في الوقت نفسه شيئاً آخر .

فالتسوء المؤكد أنه في أثناء هذه الإقامة الثانية في ماريانزل أنجز الرسوم : وقصحة العنوان ، المرسومة دفعة واحدة . تشمل على تمثيل مشهدي العهد . ومن الممكن أن يكون الرسام قد غالى حرجاً شديداً في محاولته التوفيق بين تصريحاته الجديدة والسابقة . ولقد كان من سوء حظه أنه ما وسعه أن يتخيل سوى عهد سابق لا عهد لاحق . فبذلك ما عاد يملك وسعاً أن يحول دون حصول الإشكال المخرج : استرداده في وقت مبكر أكثر ممّا ينبغي أحد العهدين . العهد المكتوب بحروف من دم في السنة الثامنة . واسترداده الثاني . المحرر بحروف سود . في وقت متأخر أكثر ممّا ينبغي في السنة العاشرة . وثمة قرينة نتم عن تحريره على دفعتين : فقد أخط في تاريخ العهدين وجعل تاريخ العهد الأول في سنة ١٦٦٩ أيضاً . ولهذا الخط مدلول صراحة غير مقصودة : وهو يبيح لنا أن نحزر أن العهد السابق المزعوم جعل استحقاقه لأجل أبعد . وله يكن أمام الناسخ مناس . وهو الذي لم يطلع على الموضوع إلا في سنة ١٧١٤ . بل ربما في سنة ١٧٢٩ . من أن يبدل قصصه لآراء هذه الساقيات بقسدر الامكان . على ما لها من أهمية . وبما أن العهدين اللذين كانا أمامه كانا يحملان كلاهما تاريخ ١٦٦٩ . فقد حاول التملص من الورطة عن طريق محاولة التفسير المبهامنة التي أدرجها في شهادة رئيس الدبر .

ويسير على القاريء أن يدرك ابن وجه الضعف في أعادتنا



المغربة هذه لما جريبات القصة . فذكر العهدين ، اللذين واحدهما بالاسود وثانيهما بالدم الاحمر ، قد ورد في شهادة رئيس الدير فرانسيسكوس . ومن لم كان لي ان اختار بين واحد بين اثنين: إما الافتراض بان الناسخ قد اجري تعديلا ما لي هذه الشهادة . وهذا بالارتباط الوثيق مع معناه التديليسي ، وإما الاعتراف بانني لست اهلا للاهتمام الى خيط الحقيقة في هذه البلبلة (٤٢) .

٤٣ - يدخل الى ان الناسخ وجد نفسه محصورا بين نقطتين ثابتتين . فمن جهة أولى وجد رسالة الموسية الصادرة عن الخوري وشهادة رئيس الدير تسانا كسانا على ان العهد اعلى كن حان الاول . قد كتب في سنة ١٦٦٨ : ومن الجهة الثانية كان العهدان ، المحفوظان في محفوظات الدير ، يحفظان كالتساخ تاريخ ١٦٦٩ . ولما انه كان امام عيني عهدان ، فقد داخلته اعتقاد راسخ بان لغة عهدين قد جرى تحريرهما . ولما لم يرد ذكر في شهادة رئيس الدير ، انما افترض ان ، الا لعهد واحد . فقد وجد الناسخ عدده مرفعا على ان يحجر من مسندة الشهادة ذكر العهد الثاني ، ونسبنا من التفاضل افترض ان هذا الاخير قد سبق تاريخه . والتعبير الذي احدثه في النص ياتي مباشرة بعد الاساقفة التي ما كان لاحد سواء ان يفسرها على النص . ونظرا وجد نفسه مترقا على ان يدمج عبارة Sequenti Vero Anno 1669 بين الاساقفة التي تسبقها على النص وبين التعديل الذي اجراه فيه . لان الرسام كان قد كتب بتاريخ العبارة في الشرح المرافق للصورة والذي لحق به طبع شديد :

بعد سنة واحدة ...

تعرض لهديده شديد ...

الصورة رقم ٢ ، واضطر ...

الى التوقيع بالدم ...

والنظرة التي ارتكبه الرسام حين أعد العهدين ، والذي ينعكس على انهماج هذه المحاولات التفسيرية ، لا يبدو لي اقل اشارة الاعتراف من عذبة نفسيهما.

ولا ريب في ان كل هذه المناقشة قد بدت القارىء منذ زمن غير يسير فائضة عن الحاجة ، مثلما بدت له التفاصيل المدروسة واهنة الفائدة . لكن الامر يتليس اهمية جديدة عندما نتابعه في اتجاه معين .

قلت توأ ، بضدد الرسام ، انه تخيل ، وقد باقته مسبار مرضه بما يكره ، عهدا سابقا (العهد المكتوب بالحبر) ليتمكن من تبرير موقفه لدى رهبان ماريازل . والحال انني اكتب برسم قراء لا يؤمنون بابليس ، وان كانوا يؤمنون بالتحليل النفسي ، ومن ثم قاتهم قد ينكرون على سخافة توجيه مثل هذا اللوم الى ذلك الرسام المسكين الذي تمنعته رسالة التوصية اصلا بـ «الرجل البائس» . فالعهد المكتوب بالدم كان ولا بد خياليا ، مثله مثل العهد السابق المزعوم المكتوب بالحبر . وواقع الحال انه لم يظهر له أي شيطان ، وكل العهد مع ابليس لم يكن له من وجود الا في مخيلته . وانا اوافق على ذلك ، وليس لاحد ان ينكر على ذلك المسكين الحق في تكلمة استيهامه ابتدائي بأخر لاحق ، متى ما بدا ان الظروف المستجدة تستوجب ذلك .

لكن هنا ايضا لا بد لنا ان نرى الى ابعد . فالعهدان ليسا بالفعل من استيهامه نظير رؤى الشيطان : بسبل كانا وليقتين محفوظتين ، بحسب توكيد الناسخ ، وبحسب شهادة رئيس الدير كيليان لاحقا ، في محفوظات ماريازل ، وكان بوسع جميع الناس رؤيتهما ولمسهما . يواجها اذن هنا إحراج . فاما ان نسلم بأن الرسام اختلق بنفسه في الوقت المرام ، وعند احتياجه اليهما ، الصكين اللذين اميدا اليه على ما قبل لنا بشفاعة ربانية، ولما ان نعتبر السادة رهبان ماريازل وسان لامبير غير أهمل للتصديق رغم كل التوكيدات الرسمية وشهادات الشهود المختومة بالاختام ، الخ . واني لاقر بأنه ما كان لي الا بمشقة وعسر ان اشتبه في الرهبان . صحيح انني اميل الى التسليم بان الناسخ اجري بعض التزوير في شهادة رئيس الدير الاول حرصا

منه على توافق النصوص ، لكن هذا « العمل الاتشائي الثالوي » لا يتعدى حدود القفال المشابهة للمؤرخين المحدثين والعلمانيين ، وقد فعل على كل حال عن خلوص نية . ولقد استأهل الزهبان في ظروف أخرى حقاً مبرراً في أن تمحيطهم تقتنا . وقد أسلفت القول انه ما كان لمة ما يمنعهم من حذف الروايات المتعلقة بالشقاء غير الكامل وبمواصلة الشيطان تجاربه . كذلك قسان وصف مشهد التعزيم في المزار ، الذي كان من الممكن ان نخوف من السطط فيه . مروي ببساطة واعتدال ويظهر من الحق . لذا لا يبقى امامنا الا ان توجه اصبع الاتهام الى الرسام . فقد كان هذا الأخير يحمل معه ولا بد العهد المكتوب بحروف حمر حين قصد المزار لأداء فعل توبته فيه . وقد أبرزه حين أرشد نحو السهود من الرهبان بعد لقائه بإيليس . وما من ضرورة تقضي ايضاً بأن يكون هذا الصك هو عينه الذي جرى الاحتفاظ به لاحقاً في المحفوظات؛ وبحسب إعادة بنائنا للقصة فإن هذا الصك الأول كان يمكن ان يكون حاملاً لتاريخ ١٦٦٨ (قبل تسع سنوات من مشهد التعزيم).

- ٥ -

## العصاب اللاحق

لكن كل ما تقدم ان يعدو في هذه الحال ان يكون ضرباً من الغش ، لا من العصاب ، كما ان يعدو الرسام ان يكون مزوراً ومنظاهراً . لا ممسوساً ؛ بيد ان الحدود بين العصاب والنظاهرة كما هو معلوم . غائبة . وانا لا اجد أي صعوبة ايضاً في التسليم بأن الرسام كتب وحمل ذلك الصك ، والوثائق التي تلته ، وهو في حالة خاصة شبيهة بحالة رؤاه . وبالفعل ، ما كان له ان يسلك

٤٠

غير هذا المسلك اذا شاء ان يجعل لتخليسه العهد مع الشيطان ثم الخلاص منه اساساً من الواقع .

وبالمقابل ، فإن اليوميات التي حررها في فيينا ، والتي سلمها للرهبان عند نزوله للمرة الثانية في ماريانزل ، تحمل طابع الصدق والحقيقة . وتتيح لنا هذه الوثيقة ان نلقي نظرة عميقة ونافذة على حافز العصاب ، او بتعبير أدق على شعيره واستغلاله . تمتد التعليقات من زمن التعزيم الذي حقق هدفه الى يوم ١٥ كانون الثاني من السنة التالية ١٦٧٨ . وحتى الحادي عشر من تشرين الاول عاش الرسام بأحسن حال في فيينا ، حيث اقام لدى اخت متزوجة ، ولكن منذئذ عاودته ثانية حالات مرضية جديدة ، واكبتها رؤى وتشنجات وإغماءات واحساسات مؤلمة ، مما اوجب عودته الى ماريانزل في ايار ١٦٧٨ .

ينقسم هذا السرد الجديد لآلامه الى ثلاث مراحل . فقد نجلت له التجربة أولاً في شكل فارس حسن الملبس حاول اقناعه بأن يرسم الصك الذي يشهد على قبوله في رهبانية اخوة سان روزير . وازاء المقاومة التي أبداها عاود الشبح نفسه ظهوره في اليوم التالي ، لكن هذه المرة في قاعة رائعة الزخرفة تقص بالرافصين من النبلاء وجماليات النساء . وعرض عليه نفس الفارس الذي كان قد حاول تجربته مقترحات ذات صلة بالرسم (٤١) ووعدته بالمقابل بمبلغ كبير من المال . وبعد ان أفلح ، بتلاوته الصلوات ، في تبديد هذه الرؤيا ، تجددت بعد بضعة أيام في شكل أشد تأثيراً ايضاً . فقد بعث اليه الفارس هذه المرة بواحدة من أجمل النساء ممن كن جالسات الى مائدة الوليمة ، لكي تصطحبه معها الى معشر الطبقة الراقية ، وكان عليه ان يجاهد نفسه حتى يتقي شر اغرائها . لكن الرؤيا التالية كانت أشد وقعاً

٤١ - لم يكن من فهم هذا التطلع .

في النفس ايضا ، وكان المشهد في قاعة اعظم فخامة «ينتصب فيها عرش من الذهب» . وكان يصطف حول العرش فرسان ينتظرون قدوم ملكهم . واقترب الشخص عينه الذي كان اولاه عنايته في اكثر المرات السابقة ودعاه الى ارتقاء العرش لانهم «يريدون ان يتخذوه ملكا عليهم وان يجلسوا قدره الى ابد الابد» . وبهذا التوسيع للاستيهام ينتهي هذا الطور الاول والعظيم الشفافية من قصة التجربة .

وكان لا بد ان يعقب ذلك رد فعل . فاذا بكفة الزهد والورع ترجع . ففي العشرين من تشرين الاول ظهرت للرسم هالة عظيمة ، وخرج منها صوت زعم انه صوت المسيح ، وحنه على العزوف عن العالم وعلى نذر نفسه لخدمة الرب في الصحراء نست سنوات . وقد عانى على ما هو باد للعيان من هذه الرؤى القدسية اكثر بكثير مما عانى من الرؤى الشيطانية التي سبقتها . ولم يبق من هذه التوبة الا بعد مرور ساعتين ونصف ساعة . وفي الرؤيا التالية ابدى الشخص القديس . المحاط بهالة ، قدرا اقل من الرفق والحسنى . وتوعد ارسام وهدده لانه لم يقبل العرش الالهى ، واقتاده الى الجحيم ليبت الخوف في قلبه بمراى مآل الملعونين . والظاهر ان التهديد لم يجد قتيلا ، لان ظهورات الشخص المشع ، والمفروض فيه انه هو المسيح . تكررت وتسببت له في تجيوبات وانخطافات تدوم واحدها عدة ساعات . وفي اعظم هذه الانخطافات اقتاد الشخص البهي الطلعة الرسام لى بادية الامر الى مدينة يتعاطى الناس في شوارعها جميع افعال الجهالة والخلالة ، ثم اقتاده بعد ذلك ، وعلى سبيل التضاد ، الى مرج جميل يحيا فيه النساك حياة ورعة ويتلقون شهادات ملموسة على نعمة الله وعنايته الربانية . وتظهر بعد ذلك ، وبدلا من المسيح ، الام القديسة بنفسها لتحت المريض . باسم العون الذي بلدته له آثما ، على الانصياع لطلب ابنها الحبيب . ولما لم

يسرم امره كما ينبغي» عاود المسيح ظهوره في اليوم التالي والحف عليه إلحافا شديدا ، قارنا الوعد بالوعيد . وفي النهاية رضى . وعزم على هجران العالم ، وعلى فعل ما هو منتظر منه . ووضع هذا القرار حدا للطور الثاني . ولاحظ الرسام ابتداء من تلك اللحظة انه لم يعد عرضة للرؤى والتجارب .

غير ان هذا القرار لم يكن حازما جدا على ما يظهر ، او انه ارجأ تنفيذه اكثر مما ينبغي ، اذ فيما كان الرسام يصلى ويتهدد في كنيسة سان انيبن ، في السادس والعشرين من كانون الاول ، وقع نظره على امرأة صبية مشيقة القدر تسير برفقة نبيل جميل الملبس ، فما استطاع ان يرد عنه فكرة انه كان بوسعه ان يكون محل هذا النبيل . وكان هذا الخاطر يستوجب العقاب ، فاذا به ، في مساء اليوم نفسه ، وكان صاعقة قد صعقته : فرأى نفسه محاصرا بالسنة النار وغاب عن الوجود . وبذلت جهود مضنية لارجاعه الى الوعي ، لكنه ظل يتدحرج فوق ارض الفرقة الى ان تدفق الدم من انفه وقمه ، واحس بأنه يسبح في العرق والاقذار ، وسمع صوتا ينبئه بأن هذه الحالة قد حلت به عقابا له على افكاره الباطلة والعبث . وفي وقت لاحق ساطت الارواح الشريرة بالحيال ، وانذرته بأنه سيلقى يوما نظير هذا العذاب ، الى ان يقر قراره على الانسحاب الى رهبانية نسكية . وقد دامت هذه الاحداث الى يوم ١٣ كانون الثاني ، وهو التاريخ الذي تقف عنده اليوميات .

واضح للعيان اذن كيف ان الاستيهامات الاغرائية لى رساما البائس تتحول اولا الى استيهامات زهدية ، ثم الى استيهامات عقابية . ونحن نعرف مقدما نهاية قصة عذاباته . فقد قصد في شهر ايار ماريازل حيث اعترف بأنه عقد عهدا سابقا ، محررا بالحر الاسود ، واعرب عن اعتقاده بأن هذا العهد هو مصدر العذابات الجديدة التي ينزلها به ابليس . وكان له ما اراد : فقد أميد اليه العهد وكتب له الشفاء .

وفي البناء اقامته الثانية هذه في ماريازل رسم الصبور  
المسوخة في **التذكار** ، وفعل في الوقت نفسه شيئا يتشبه  
ومتطلبات الطور الزهدي من يومياته . فبدلا من ان يقصد  
الصحراء لينسك ، انتسب الى رهبانية اخوة الرافسة :  
Religiosus Factus Est . (٤٥) .

نتيج لنا مطالعة البوميات ان نفهم جانباً جديداً في كل هذه  
القصة . فنحن نذكر ولا ريب ان الرسام نذر نفسه للشيطان لانه  
شق عليه غداة وفاة والده . وقد اخذ منه التبرم كل ماخذ وبات  
عاجزا عن العمل . ان يتدبر امر معاشه ، والحال ان هذه العوامل ،  
من هبوط وكف عن العمل وحداد على الاب ، مترابطة بعضها  
ببعض بكيفية ما ، بسيطة او معقدة . واعل الشيطان ما ظهر له  
تكرارا وهو محبو بالانداء الكبيرة الا لانه كان يفترض ببليس ان  
يقود اياه الموضع . بيد ان هذا الامل لم يتحقق ، وظل القتل في  
كل شيء حليفه ، وما امكنه ان يعمل كما ينبغي او لعل الحظ لم  
يحالفه ولم يلق عملا يكفيه اوده . ورسالة التوصية الصادرة عن  
الخوري تقول عنه : « رجل بالئس ليس له من معين » . وعليه ، لم  
يكن الرسام في حال من العوز المعنوي فحسب ، بل كان يعاني  
ايضا العوز المادي . وتلقى في ثوبا قصة رؤاه الاخيرة ملاحظات  
تدل ، مثلاً مثل مضمون المشاهد التي يشاهدها ، على انه لم  
يتغير شيء رغم نجاح التعزيم الاول . نحن اذن امام رجل لا يفلح  
في شيء ، ولهذا السبب لا يحضه احد لفته . ففي الرؤية الاولى  
يساله الفارس عما سيفعله ، ما دام احد لا يهتم به : « ما دام  
الجميع قد تغلوا عني ، فما بوسعي ان افعله ؟ » . والمجموعة  
الاولى من الرؤى في فيينا تتفق تماما مع الاستيهامات الرغبة

٤٥ - باللاتينية في النص : « صار راعياً » .

لإنسان فقير ، جائع الى اللذات والمباهج ، بالئس : فاعات عظيمة ،  
اطايب من الطعام ، آتية من فضة ، لساء جميلات ؛ وهنا تحديد  
لتلقى ما كنا افترقناه حتى الان في العلاقات مع الشيطان .  
فقبلت كانت تسيطر على المريض سويدة تحول بينه وبين أية  
متعة وتقصره على رفض أشد العروض اغراء . ويبدو ان هذه  
السويداء قد امكن التغلب عليها بعد التعزيم ، فذبت الحياة من  
جديد في جميع المفاصل والشهوات الدنيوية .

في واحدة من الرؤى الزهدية يتشكى الشخص الذي يأخذ  
بيده (المسيح) من ان احدا لا يريد ان يصدق ، مما يمنعه من  
تنفيذ ما يؤمر به . ولسوء الحظ ان الجواب الذي يتلقاه يبقى  
مستغلقا فهمه علينا . « لا احد يريد تصديقي ، لكن ما حدث اعلمه  
حق العلم ، غير انه يتعذر عليّ انا نفسي الافصاح عنه » . وقضى  
القصة بعد ذلك بضوء باهر حينما يقناده دليله الالهي الى مقام  
الناسك : اذ يصل الى مغارة يقيم فيها شيخ طاعن في السن منذ  
سنتين سنة ، ويعلم من الاجوبة التي يتلقاها عن اسئلته ان هذا  
الشيخ تطعمه يوميا ملائكة الرب . ثم يرى بأم عينه ملاكا يحمل  
القوت للشيخ : « ثلاث فصعات من الطعام وخبز وقطعة لحم  
وشراب » . وبعد ان يأكل الناسك حتى الشبع ، يجمع الملاك بقايا  
الطعام ويذهب بها . وسيل علينا ان ندرك ما الاعراض التي يمكن  
ان تقدمها هذه الرؤى التقوية : فعاقبتها المحتمة ان تحصل  
المريض على اختيار طراز في العيش لا يعاني فيه هموم الماكل .  
وجديرة بالملاحظة ايضا كلمات المسيح في آخر الرؤى . فبعد  
تهديده اياه بانه اذا لم يمثل فسيقع شيء يرغمه . هو وسائر  
الناس ، على الإيمان ، ينقل الرسام كلمات المسيح : « ليس لي ان  
اهتم بالناس ، فحتى لو اضلعتوني او لم الق منهم أي عوز ،  
قل: نخلي الله عني » .

لقد كان كرم . هانز من قناتنا . « حيا الله » . كما يقول كرم :  
له . « هلا العزوف من عالم الجهالة هذا ، غير انه فعلا ذلك » .

خاتمة المطاف بسبب ما كان فيه من إملاق . انسحب الى رهبانية ،  
فانتهى بذلك صراعه الداخلي وبؤسه المادي على حد سواء .  
وتنعكس هذه النهاية في عصابه من حيث ان استعداده الصك  
الاول المزعوم تحرره من نوباته ورؤاه . وفي الواقع ، كان لكلا  
طوري مرضه الابليسي معنى واحد . اذ لم يكن له من طلب الا  
تأمين معاشه ، المرة الاولى بمساعدة ابليس . وعلى حساب  
خلاص نفسه . وفي المرة الثانية ، لما تخطى عنه ابليس ولم يكن  
امامه مناص من العزوف عنه ، بمساعدة الكنية وبتفجئته  
بحرته وبمعظم امكانيات المتعة التي تقدمها الحياة . ولعل  
كر . هابترمن كان بباطة رجلا مكبنا سيء الطالع ، ولعله كان  
أخرق أو غير كفؤ لتدبير امر نفسه ، ينتمي الى ذلك النمط من  
الناس المعروفين باسم «الرضعاء الدائمين» الذين لا يسعهم ان  
يخرجوا بأنفسهم من الوضع السعيد الذي كانوا يرتعون به في  
حصن الأم ، والذين يفضون حياتهم بكاملها وهم يبحثون عن  
يطعمهم ويقيتهم . وهكذا تلقاه في قصة مرضه هذه ينطلق من  
الاب ليعود ادراجه ، مروراً بالشیطان ، بدليل الاب . الى الآباء  
المقدسین .

قد يبدو هذا العصاب . عند الملاحظة السطحية . وكأنه  
أحبولة من احابيل الشعيقة التي يحفل بها جانب بكامله من  
الصراع الخطير . لكن الهادي . في سبيل الحياة . وقد لا يكون  
كذلك هو واقع الحال على الدوام . ولكنه كثير التواتر على كل  
حال . وكثيرا ما يخبر المخلون بالتجربة كم يشق عليهم ان  
يعالجوا تاجرا «يدان تظهر عليه منذ بعض الوقت . بالرغم مما  
هو عليه من صحة جيدة ، اعراض عصاب ماء . فالكارثة التي  
يرفض التاجر بانها تهدده في تجارته يكون من نتائجها الثانوية  
بناء ذلك العصاب ، مما يتيح للمريض الامكانية لإخفاء همومه  
المعاشية الفعلية خلف سائر امراضه المرغوبة . وهذا على كل  
حال حل غير مناسب للمرة ، لان العصاب يتمتع قوى كان يمكن

استخدامها على نحو اتفع واجدى في مواجهة الوضع المخوف  
بالمخاض مواجهة متبصرة .

وفي احوال أخرى أكثر تواترا بما لا يقاس يكون العصاب أكثر  
انعزالا واستقلالا عن هموم الحياة والبقاء . فالنزاع . الذي عنه  
يتشأ العصاب . يكون موضوعه إما اهتمامات ليبيدوية خالصة .  
وأما اهتمامات ليبيدوية مقرونة على نحو وثيق للغاية بهموم الحياة  
والبقاء . لكن دينامية العصاب في الحالات الثلاث واحدة .  
فالليبيدو المترام . الذي لا يسعه ان يجد سبيله الى الاشباع في  
الواقع . يشق لنفسه ، بواسطة التكويس ، طريقا نحو تثبيات  
قديمة عبر الاشعور المكبوت . وما دام الانا يحني فائدة ما من  
المرس . فانه يسمح للعصاب بالوجود . وان يكن الضرر الاقتصادي  
الذي يلحق بهذا الانا اكيدا لا ريب فيه .

كذلك . ما كان للوضع المادي المحزن لرسامنا ان يستثير لديه  
عصبا شيطانيا او لم يولد لديه بؤسه حينا معززا الى ابيه . ولما  
قبض له ان يتحرر من سوزاته ومن ابليس ، نشب فيه صراع  
جديد بين الرغبة الليبيدوية في التمتع بالحياة وبين احساسه  
بان تدبير امر معاشه يقتضي منه بالشد الانحاج العزوف والرهف .  
وقد شعر الرسام - ومن المعين ان نلاحظ ذلك - شعورا عميقا  
بالروابط التي تربط بين كلا طوري تاريخ الامه . لانه يعزو كلا  
منهما الى حلف عقده مع الشيطان . وهو لا يميز على كل حال  
تمييزا فاصلا بين تأثير الروح الشرير وتأثير القوى الالهية ؛ وليس  
لديه كليهما سوى اسم واحد : شيطانية .



«العصاب الوسواسي» على الداء الذي تشكو منه (١) ، لكن لا يجوز لنا أن نحاول أن نشق الطابع الاساسي لهذا الداء من اسمه ، لأنه توجد ، بغير المعنى ، ظاهرات نفسية مرضية أخرى قابلة لأن تلبس ما نسميه بـ «الطابع التسلطي» ، ولا يزال من الضروري في الوقت اراهن أن نقوم معرفة مفصلة بهذه الحالات محل التعريف ، على اعتبار أننا لم نفلح حتى الآن في استخلاص معيار العصاب الوسواسي ، وهو معيار كامن فسي أرجح القدر تحت طبقات بعيدة الغور وأن يكن بالإمكان استشفاف وجوده في جميع ظاهرات ذلك الداء .

أن نوائم الطقس العصابي الفعل صفة : أفعال مضافة أو معاقلة أو ترقيبات تؤدي . على صعيد أفعال الحياة اليومية . بطريقة واحدة على الدوام أو بكيفية تتنوع طبقا لقواعد محددة . وتشترك هذه النشاطات فيما اتفياها بأنها محض «شكليات» ؛ وتبدو لنا عارية من المعنى تماما ، وهي لا تظهر بمظهر آخر للمريض ، ومع ذلك يعجز عن عدم القيام بها . لأن كل حيدان عن الطقس يعاقب بحضّر Angoisse لا يطاق . ورغم المهمل على أن يفعل من جديد وبعد قوات الاوان ما كان أغفل فعله . ولا تقل تفاهة عن الأفعال الطقسية المناسبات وضروب النشاطات التي تكتنفها الطقوسية فنؤخر تنفيذها ، علاوة على أنها تجعله أكثر صعوبة ؛ وعلى سبيل المثال فعل ارتداء الثياب وخلعها . فعل الرقود ، فعل اشباع الحاجات الجسمانية ، الخ . ولعله يسمعا أن نصف الكيفية التي يمارس بها الطقس فيما لو استبدلناه ، نوعا ما ، بمجموعة من قوانين غير مكتوبة . فمثلا ، وفيما يخص طقس السرير : ينبغي أن يكون الكرسي في وضع معين أمام

## الإفعال التسلطية والشعائر الدينية (١)

لست بالناكيد أول من استرعى انتباهه التشابه القائم بين أفعال العصائين التسلطية وبين الشعائر التي يدلل بها المؤمن على وحيه وتقواه . وصفة «الطقس» التي تطلق على بعض هذه الأفعال التسلطية هي خير شاهد على ما أقول . بيد أن هذا التشابه يبدو لي أكثر من محض تشابه سطحي حتى ليجوز للمرء أن يستخلص ، بطريق المفايسة ، من فهم معين لنشأ الطقس العصابي استنتاجات تتعلق بالسرورات النفسية للحياة الدينية . ينتمي الناس الذين يؤدون أفعالا تسلطية أو طقسية ، ومنهم من يعانى افكارا تسلطية وتمثلات تسلطية ونوازع تسلطية الخ ، إلى فئة سرورية خاصة جرت العادة على إطلاق اسم

٢ - أنظر لوبنيليد : الظاهرات النفسية الوسواسية ، ١٩٠٤ .

١ - أنظر جزء من «جاء عام النفس المرضي» ، الجزء  
سبعوناً برسل وقورود .



السرير . ويتبقى على الابسة فوقه طريقة معينة . كما ينبغي ان يكون غطاء السرير نظيفاً في اذرافه . ولا بد ان يكون اشرسعه مشدوداً وبلا ثيابا . ومن الواجب صف المحدثات بطريقة جيدة اخرى . بل لا بد ان يكون الجسم نفسه في وضعيه محددة بدقة فنعند فقط يكون من حق المرأة ان يدخل الى النوم . وفلسفي الحالات الحقيقية يبدو الطفس وكأنه مغلاة بنظام معقد ومبرر . غير ان الوسوسة الضميرية التي يؤدي بها . والحظر الذي ينشأ عن الاخلال به . يقتضيان على الطفس طابع « فعل مقدس » . فكل ما يعكره ويشوشه لا تحفل بتسامح . ومن الواجب ادائه بعزل عن الجمهور . وفي غيبة الاشخاص الآخرين .

ان جميع اشكال النشاط يمكن ان تغدو افعالا تسلطية باوسع معاني الكلمة . اذا ما ارفقت بفعال صغيرة مضافة وجعل لها ايقاع معين من الوقف والتكرار . وليس لنا ان نتوقع العثور على حد فاصل واضح بين « الطفس » و « الافعال التسلطية » . فالافعال التسلطية تدنى في اغلب الاحيان عن طفس ما . وبالمثل المرض . علاوة على هاتين الظاهرتين . من موانع ونواذ اخمصول الارادة ليس لها من دور في الواقع الا ان تتابع وظيفة الافعال التسلطية . وذلك من حيث ان بعض الاشياء تحظر على المريض . بينما لا يسمح له ببعضها الآخر الا بشرط مراعاة طفس مقرر مسبقا . ومن المثير للفضول ان نرى الاجبار Compulsion والحظر اوجوب فعل شيء من الاشياء وانعدام الحق في فعل شيء آخر على حد سواء لا يطلان في البداية سوى نشاطات الناس الانفرادية . ولا يتطرقان لاجل طويل من الزمن الى سلوكياتهم الاجتماعية . ولهذا يمكن لاشياء هؤلاء المرضى ان يعالجوا مرضهم على انه مسألة خاصة وان يخفوه ويكتنمونه لستين عديدة . وعلى كل . فان عدد الاشخاص الذين يعانون اشياء هذه الاشكال من العصاب الوسواسي اكبر بكثير مما يصل الى علم الاطباء . زد على ذلك ان الكثيرين من هؤلاء المرضى يجدون لهذا الكتمان طرفا

مساعد في كونهم يقلعون في اداء واجباتهم على خير وجه في شطر من النهار بعد ان يكونوا قد كرسوا عددا معلوما من المساعات لقيامهم السرية في خلوة عن سائر الناس .

ويسير علينا ان ندرك ان يكمن وجه الشبيه بين الطفس العصبي وبين اشعائر الدينية ذات الصفة المقدسة : في الخوف المبثق عن الضمير في حال الاهمال . وفي الاجتناب التام لسائر النشاطات (الازعاج ممنوع) . وفي الطابع المقدس والموسوس للتنفيذ . لكن الفروق ايضا بينة . وبعضها صارخ الى حد تبدو معه هذه المشابهة ضربا من انتهاك القدسات : النوع العظيم للافعال التسلطية بالتعارض مع نمطية الطفس الديني (الصلاة . السجود . الخ) : والطابع الخاص للاولى بالتعارض مع الطابع العام والجماعي للشعائر الدينية : وعلى الاخص الفارق المتمثل في ان افعال الطفس الديني الصغيرة تكون ذات مغزى وقصد رمزي . بينما تبدو افعال الطفس العصبي مدحجة وغارسة عن المعنى . ويظهر العصاب الوسواسي هنا وكأنه صورة كاريكاتورية شبيهة عازلة وشبه مؤسسية لديانة فردية خاصة . بيد ان هذا الفارق الحاد بين الطفس العصبي والطفس الديني هو بالتحديد الذي يتلاشى حينما نمضي قدما الى الامام في فهم الافعال التسلطية بالاعتماد على تقنية التنقيب التحليلي النفسي (٢) . فهذا التنقيب يتيح لنا ان نضع حدا نهائيا للظاهر الذي يجعلنا نتصور ان الافعال التسلطية بريئة وغاربة من المعنى . كما انه يعيط اللثام عمن المصدر الذي يأتي منه هذا الظاهر . وهكذا نتمرس على ان ندرك ان الافعال التسلطية . جميعها بلا استثناء وجميع تفاصيلها .

٢ - انظر س. فرويد : مجموعة دراسات عقلية حول نظرية الاعصاب ، لبيبا ١٩٠٦ ، الطبعة الثالثة ١٩٢٠ .

متربة بالمعنى ، وأنها تخدم اهتمامات أثيرة لدى الشخص المعنى .  
وأنها تعبر عن أحداث ذات تأثير دائم وعن أفكار مشحونة بوجدانية  
الفرد . وهي تحقق ذلك بطريقتين : بوصفها تمثيلا مباشرا أو  
بوصفها تمثيلا رمزيا ؛ فمن المناسب بالتالي تأويلها سرياً (٤)  
أو رمزياً .

لزام عليّ هنا أن أسوق بعض الأمثلة في تأييد هذه  
الطروحة . ومن ألف النتائج التي يمحض عنها النقيض التحليلي  
النفسى في الأعصبة النفسية ، فلن يدعشه أن يعلم أن ما تمثله  
الأفعال السلطوية أو الطقسية ينبع من حياة المريض الحميمة ،  
بله الجنسية .

أ - درست مرة حالة فتاة كانت تجد نفسها مدفوعة ، بعد  
كل اغتسال ، إلى تدوير الطشت في مكانه . وكان مدلول هذا  
الفعل الطقسي يكمن في القول المأثور : «لا ترم الماء الوسخ قبل  
تأمين ماء نظيف عوضاً عنه» .

وكان الهدف من هذا العمل تحذير أخيها ، التي كانت تحبها  
حبا جما ، ومنعها من تطبيق زوجها الذي لم يكن مناسباً لها كثيراً  
قبل أن تتعرف إلى آخر يفضلها .

ب - كانت امرأة تعيش منفصلة عن زوجها ، وكانت تجد  
نفسها مدفوعة ، أثناء تناول وجبات الطعام ، إلى أن تدع جانباً  
خير القطع ، فلا تأكل على سبيل المثال سوى حوافي شريحة اللحم  
المشوي . وتفسر هذا الاستنكاف برتبط باليوم الذي رأى فيه  
النور . فقد تظاهر لأول مرة يوم صارحت زوجها بأنها ستمتنع  
مذذاك فصاعداً عن العلاقات الزوجية . أي يوم استنكفت عن  
خير ما في الزواج .

ج - كانت المريضة نفسها لا تستطيع في الواقع أن تجلس إلا

٤ - نسبة إلى السيرة أو ترجمة الحياة . -م-

على كرسي واحد ، وما كانت تقوم عنه إلا بعسر ومشقة . وكان  
الكرسي ، بحسب بعض تفاصيل حياتها الزوجية ، يرمز فسي  
نظرها إلى زوجها الذي بقيت مقيمة على وفائها له . وكانت تفسر  
بالعبارة التالية إجبارها هذا : «من الصعوبة بمكان الانفصال (عن  
رجل ، عن كرسي) بعد جلوسى عليه لأول مرة» .

د - اعتادت حين من الزمن لها تكرار فعلاً تسلطياً غريباً  
ولامعقولا في الظاهر . فقد كانت تجري من غرفتها إلى غرفة أخرى  
كان في وسطها طاولة ، وكانت ترتب على نحو معين البساط  
المفروش فوق الطاولة ، وتقرع الجرس للخادمة وتأمرها بالاقتراب  
من الطاولة ، ثم تصرفها بأمر مفابر . وفي أثناء الجهود التي  
بدلتها لتفسير إجبارها هذا ، استذكرت أن بساط الطاولة  
المذكورة ملطخ ببقعة كريهة اللون ، وأنها لا ترتب البساط على  
النحو الذي ترتبه به إلا ليقع نظر الخادمة على البقعة . وكان  
المشهد كله في الحقيقة تذكراً لحدث يتعلق بزواجها ، حدث طرح  
فيما بعد على عقلها معضلة تستوجب حلاً . ففي ليلة عرسهما  
وقع زوجها ضحية حظ عائر ليس بنادر حدوثه . فقد وجد  
نفسه مصاباً بعنة «ركض عدة مرات في تلك الليلة من غرفته إلى  
غرفتها» ليكرر المحاولة . وفي صبيحة اليوم التالي قال أنه  
سيشعر بالخجل ، ولا بد ، أمام خادمة الفندق التي ستقوم  
بترتيب الأسرة ، وعلى الأثر تناول قارورة من الحبر الأحمر وصب  
محتواها فوق الشرشف ، ولكنه فعل ذلك بخرق جعل البقعة  
الحمراء تنتشر في مكان ليس ولبق الصلة بما رمى إليه . وهكذا  
صارت تعيد ، بذلك الفعل التسلطي ، تمثيل مشهد ليلة عرسهما .  
وبالفعل ، أن «الطاولة والفراش» هما الشيطان اللذان عليهما  
يعقد الزواج .

هـ - هذه المريضة عتيها كانت تبدي ميلاً لا يقاوم إلى تسجيل  
رقم كل ورقة نقدية قبل أن تخرج من بين يديها ؛ والحال أن

هذا الإجبار كان بدوره قابلا للتفسير بسيرة حياتها . فيوم كانت لا تزال تدأب فكرة هجر زوجها في حال عثورها على رجل أجدر منه بثقتها ، سمحت لرجل في أحد منتجعات المياه المعدنية بأن يقارلها رغم أنها كانت تشك في جد نيائه . وذات مرة احتاجت إلى قطع نقابة صغيرة ، فرجته أن يصرف لها قطعة نقدية من ذوات الخمسة الكورونات . ففعل ذلك ، ووضع القطعة النقدية الكبيرة في جيبه . وقال برفقة حاسية أنها لن تفارقه بعد اليوم لأنها مرت بين يديها . وفي لقاءات تالية من لها غير مرة أن تسأله أن يربها قطعة الخمسة الكورونات ، لتؤكد بنوع ما من مدى مصداقية غزله . لكنها أمسكت عن ذلك لسبب بسيط ، وهو أنه كان سيحيل عليها أن تميز قطعة نقدية من أخرى متساويتين في القيمة . وعلى هذا فإن الشك لم يتبدد قط ، بل خلف وراءه ميلا إجباريا إلى تسجيل أرقام الأوراق النقدية ، هذه الأرقام التي يفضلها تميز كل ورقة فرديا عن سائر الأوراق المعادلة لها في القيمة .

هذه الأمثلة القليلة . المقنينة من معن معانيها الواسع ، لم أسقها إلا تمثيلا على الأطروحة القائلة أن كل شيء في الأفعال السلطانية نوعا بالمعنى وصالح للتأويل . وكذلك الحال فيما يتعلق بالنطق بحصر المعنى ؛ غير أن البرهان على ذلك سيتطلب عرضا أكثر تفصيلا . ثم انني لا أجهل أننا قد ابتعدنا في ظاهر الأمر ، بانشغالنا بتوضيح فحوى الأفعال السلطانية ، عن دائرة الأفكار الدينية .

أن من شروط الحالة المرضية أن يفعل الشخص الخاضع للإجبار ما يفعله من دون أن يعرف مدلوله ، وعلى الأقل مدلوله الرئيسي . وجهود المعالجة التحليلية النفسية هي وحدها التي يمكن أن تجعله يعي معنى الفعل السلطاني ، وبالتالي الدوافع التي تحضه عليه . ونحن نعرف هذا الوضع الذي له خطورته بقولنا أن الفعل السلطاني يفيد في الإبانة عن دوافع وتمثلات لاواعية .

ويبدو أنه يقوم هذا فارق جديد عن الشعائر الدينية ، لكن لا بد لنا أن نتذكر أن الشخص الورع المفرد يمارس بوجه العموم الطقس الديني من دون أن يتساءل عن معناه . بينما يسع الكاهن والمحلل أن يعرفا معنى الطقس هذا - الذي غالبا ما يكون رمزيا ، والدوافع التي تحض المؤمنين بالحاج على ممارسة الشعائر الدينية تبقى مجهولة مع ذلك من قبلهم جميعا ، أو أنهم يتمثلونها فسي وعيهم في صورة دوافع أخرى تتقدم عليها وتحتل مكانها .

كان تحليل الأفعال السلطانية قد أتاح لنا أن نقف نظرة على أتولوجيا (هـ) هذه الأفعال وعلى تسلسل الدوافع التي تحض عليها بصورة لا تقاوم . وبوسعنا أن نقول أن من يعاني ضروب الإجبار والتي يتصرف وكأنه واقع تحت سلطان **احساس بالذنب** ، لا يعرف عنه شيئا بالأصل ؛ احساس لاشعوري بالذنب . كما يخلق بنا أن نقول من دون أن نأبه لما بين الالفاظ المقرون بينها على هذا النحو من تصادم . هذا الاحساس بالذنب يكمن مصدره في بعض الضرورات النفسية المبكرة ، لكنه يجد عنصر إحياء دائم له في **الإغواء** الذي تجدد كل مناسبة راحنة . وهو يولد ، من جهة أخرى ، **حصرا مترقبا** ، انتظارا لمصيبة هي دوما بالمرصاد ، حصرا يربطه مفهوم **القصاص** بالادراك الماضي للإغواء . وحين ينزع طقس من الطقوس إلى الناس والتكون ، يكون المريض لا يزال يدرك بوعيه أن عليه أن يفعل هذا الشيء أو ذاك ، وإلا فسيان مصيبة ما ستقع . وبوجه عام فإن نوع المصيبة المتوقعة لا يكون غالبا بعد عن وعيه . لكن العلاقة : الممكن البرهان عليها في كل حالة ، بين المناسبة التي يبرز فيها الحصر المتروك وبين العنصر الوعي الذي تتلوي عليه تكون من البداية محجوبة عن ادراك

المرض . وهكذا يكون الطقس في بادئ الامر **فعلا دفاعيا** ، او **تأمينا** ضد شيء ما ، او **تديرا** وقائيا .

وتناظر احساس العصابي الوسواسي بالذنب تصريحات ورعاء الناس حين يؤكدون أنهم يعرفون أنهم في سريرتهم خطاة كبار ؛ ويبدو ان الممارسات التقوية (الصلوات ، الابتهاالات ، الخ) لها قيمة تدابير دفاعية ووقائية ، وهي تدابير يستيق بها الورعاء كل نشاط من نشاطات النهار ، وعلى الاخص كل مشروع يخرج عن نطاق المألوف .

ومن الممكن ان نصل الى فهم اعمق لاولية العصاب الوسواسي فيما لو قدرنا بحق قدرها الواقعة الاولى الكامنة في اساسه والمتمثلة دوما في **كبت دافع غريزي** (مركب من مركبات الغريزة الجنسية) ؛ دافع غريزي متواجد من الاساس في جبهة الشخص المعني ، وقد امكن له ان يتظاهر لبرهة من الزمن في حياته الطفولية ، ثم وقع بعد ذلك فريسة للكبت . ومع كبت هذه الغريزة تولد في الوقت نفسه وسوسة ضميرية مفرطة موجهة ضد اهداف هذه الغريزة . بيد ان هذا التشكيل الارتجاعسي النفسي لا تساوره الثقة بنفسه ، بل يحس بأنه مهدد باستمرار من قبل الغريزة الواقعة له بالمرصاد في اللاشعور . ويكون الاحساس بتأثير الغريزة المكبوتة في شكل تجربة وإغواء ، وفي اثناء سيرورة الكبت بالذات يولد الحصر الذي يستحوذ ، بصفته حصرا مترقبا ، على مضمار المستقبل . وسيرورة الكبت التي تقضي الى العصاب الوسواسي ينبغي ان نعت بأنها كبت غير مكتمل النجاح ، كبت يندر بان يضعف اكثر فاكثر . ومن هنا يجوز تشبيهه بنزاع لا نهاية له ؛ فالجهود النفسية المتجددة باستمرار ضرورية كيما يقوم التوازن في مواجهة ضغوط الغريزة الدائمة . هكذا تولد الافعال الطقسية والتسلطية ، من جهة اولى ، كمقاومة للتجربة والإغواء ، ومن الجهة الثانية كحماية من مصيبة متوقعة . لكن سرعان ما يتضح ان افعال الحماية ضد

التجربة والإغواء ليست كافية ، فتظهر عندئذ الى حيز الوجود التواهي التي يفترض فيها ان تبعدنا عن الموقف الذي قد نتعرض فيه للتجربة . وكما نرى ، فان التواهي تحل محل الافعال التسلطية ، مثلما ان هدف الرهاب Phobie تلافي حتمية نوبة هستيرية . ومن جهة اخرى ، يمثل الطقس جملة الشروط التي تبقى فيها اشياء اخرى - غير محرمة بعد تحريما باتا - مسموحا بها ؛ تماما كما ان معنى طقس الزواج الديني السماح للشخص الورع بالمتعة الجنسية ، المألوفة في غير هذه الحال بالخطيئة . ومن الصفات الاخرى للعصاب الوسواسي ، مثله مثل سائر الاصابات المماثلة ، ان تظاهراته (اعراضه التي منها الافعال التسلطية) ، تمثل تسوية بين القوى النفسية المتصارعة . وهكذا تعبط الاعراض اللثام من جديد عن قدر من اللذة التي يفترض فيها ان تحول دونها ، وتضع نفسها في خدمة الغريزة المكبوتة كما في خدمة السلطة الكابتة . بل ان الافعال التسلطية ، التي كانت تفيد في الاصل في الدفاع بالاحرى ، تفقد مشابهة اكثر فاكثر ، مع تقدم المرض ، للاعمال المدانة التي بها كانت تظاهر الغريزة في الطفولة .

وبوسعنا ان نهتدي الى بعض اثر هذه العلاقات في مضمار الحياة الدينية : فقمع بعض الدوافع الغريزية وتكرانها يبدو انه الاساس الذي قام عليه الدين ايضا ؛ غير ان المقومات هنا ليست جنسية خالصة كما في العصاب ، وانما هي غرائز انانية ، ضارة بالمجتمع ؛ علما بان المساهمة الجنسية فيها ليست في اغلب الاحيان مستبعدة . ولقد اعتدنا ان نعزو الشعور بالذنب المنبثق عن إغواء لا تنطفيء جذوته ابدا ، والحصص المترقب في شكل خوف من القصاص الالهي ، اعتدنا ان نعزوهما الى مضمار الدين قبل ان نعزوهما الى مضمار العصاب . ويبقى قمع الغرائز في مضمار الحياة الدينية ناقصا وغير مكتمل ابدا ، وربما بسبب

المفومات الجنسية المختلطة بها ، وربما بحكم الصفات العاصية للفريرة . بل ان الانتكاسات الشاملة والعودة الى ارتكاب الخطيئة اكثر نواترا لدى الشخص الورع مما لدى الشخص المعصوب . وهي تشترط نوعا جديدا من النشاطات الدينية : افعال الندامة والتوبة التي لا يعسر علينا ان نجد نفاثا لها في العصاب الوسواسي .

لقد رأينا ان للعصاب الوسواسي سمة خاصة وملحطة تتمثل في ارتباط الطغى بالافعال الصغيرة للحياة اليومية وتظاهره في شكل تعليمات وتقييدات صيغانية . وليس لنا ان نفهم هذه الخاصية اللافتة للنظر من خواص بنية اللوحة السريرية ما لم ندرك ان اولى **النقل** النفسي ، التي اكتشفتها اول الامر نفسي تكوين الحلم . تسيطر على السيرورات النفسية للعصاب الوسواسي . ولا يعسر علينا ان نرى ، من خلال الامثلة القليلة التي ضربتها على الافعال السلطانية : كيف ان رمزية تنقيذ الفعل وتفاصيل هذا التنفيذ تنبئ وفق اولى نقل مما هو اصل وهام الى شيء حقير واستبدالي ، كالنقل على سبيل المثال من رجل الى كرسي . وهذا الميل الى النقل هو الذي يدخل المزيد من التعديل على الدوام على لوحة المظاهر المرضية ، فيجعل من انفه الاشياء اهمها واكثرها إلحاحا اطلاقا . وليس ببعيدا ان نتجاهل وجود ميل مشابه الى نقل القيمة النفسية في الضمار الديني ، وفي الحقيقة ضمن الاتجاه نفسه ، بحيث ان الممارسة الطقسية الثانوية الاهمية للشعائر الدينية تغدو شيئا فشيئا هي الاساسية بعد تنحية مضمونها التصوري جانبيا . ولهذا تتعرض الاديان لهزات من الاصلاحات الرامية الى اعادة توطيد العلاقة الاصلية للقيم .

ان طابع التسوية الذي تنسم به الافعال السلطانية بصفتها اعراضا عصابية هو عينه الذي لا يتميز الا باقل الوضوح فسي الافعال الدينية المناظرة لها . ومع ذلك فان ثمة شيئا ما يذكركنا

بسمه العصاب هذه حينما نرى بام عيننا كيف ان جميع الافعال التي يشجبها الدين - تظاهرات الفرائز المكبوحة من قبل الدين - تفعل باسمه في كثير من الاحيان ولصالحه على ما يقال .

بحكم هذه التوافقات وهذه التشابهات ، قد يكون جائزا لنا على ما في ذلك من مجازفة ، ان نتصور العصاب الوسواسي على انه نظير مرضي لشكل الاديان ، وان نصف العصاب بأنه تدبير فردي ، والدين بأنه عصاب وسواسي عام . والتوافق الجوهرى يكمن من هذا المنظور في الاستكفاف عن ممارسة الفرائز الداخلة في تكوين الانسان وجبلته ، كما يكمن الفارق الاساسي في طبيعة هذه الفرائز التي تكون في العصاب من اصل جنسي صرف ، وفي الدين من طبيعة انوية ايضا .

ان الاستكفاف التدريجي عن الفرائز المكوّنة لجبلته الانسان ، والتي قد توفر ممارستها لذة اولية للأناء هو على ما يبدو واحد من أسس تطور البشر الحضاري . وتتولى الاديان اتجاز شطر من هذا الكيف للفرائز ، اذ تحض الفرد على التضحية بملذاته الفريرية وتقديمها قربانا للاله . يقول الرب : «لي النعمة والجزاء» (١) . وبدلنا تطور الاديان القديمة ، بحسب ما يتراءى لنا ، على ان الكثير من «الآثام» التي عزف عنها الانسان قد «حوّلت» الى الله ، وكانت لا تزال مباحة باسمه . بحيث ان التنازل والتحويل للاله كان الوسيلة التي بها يتحرر الانسان من سلطان غرائزه الشريرة والضارة بالمجتمع . وعليه ، ليس من قبيل المصادفة ان تكون جميع الخصائص البشرية - مع ما يتفرع منها من اعمال شريرة - قد عزيت الى الالهة القديمة بغير ما حدود ، كما لم يكن ضربا من التناقض مع ذلك الا يؤذن للانسان بتبرير آثامه بالمال الالهي .



فأما الكلمة فكانت Vaterarsch (٢) ؛ وأما الصورة التي كانت تصاحب هذه الكلمة فتتمثل الأب في شكل القسم السفلي من جسم عارر ، محبو بذراعين وساقين ، ونقص منه الرأس والقسم العلوي من الجسم . وما كانت الأعضاء التناسلية بظاهرة ، بل كانت معالم الوجه مرسومة على البطن .

وإذا أردنا تفسير مثل هذا العرض النادر في لامعقوليته وخلفه ، فلا بد أن نأخذ في اعتيبارنا أن ذلك الفنى ، المكتمل أصلاً تطوره العقلي والمفعم أخلاقياً بصوات سامية ، كان قد تعاطى حتى السنة العاشرة من عمره ممارسات أوروبية شرجية نشطة ومتعددة الأشكال . وبعد أن تغلب على هذا الطور ، ارتدت حياته الجنسية إلى ذلك الطور الأول بفعل الصراع اللاحق الذي خاض غماره ضد الأروسية التناسلية . وكان يحب أباه وبجته كثيراً ، وكان يخشاه أيضاً إلى حد ما . لكن أباه كان يبدو في نظريه ، وبالقياس إلى المثل الأعلى الذي جعل نصب عينيه أن يدركه : الزهد وقمع الغرائز ، ممثل الشطط والشبق والنهم إلى التمتع المادية .

وسرعان ما اتضح أن كلمة Vaterarsch هي ترجمة المانية مأكرة للقب «البطريق» (٣) النبيل ، وأن الصورة الوسواسية مستقاة من رسم كاريكاتوري مشهور . وهذه الصورة تستحضر إلى ذهننا للحال تمثيلات أخرى تستبدل ، بقصد الإذلال والمهانة ، تمام الشخص بعضو واحد من أعضائه ، وعلى سبيل المثال عضوه

## موازيات ميتولوجية

### لتمثل دسواسية تشكيلي (١)

إن منتجات النشاط التفكيرى اللاعقوري لدى واحد من مرضاي - وهو في حوالى الحادية والعشرين من العمر - لا تتظاهر للوعي في شكل أفكار وسواسية فحسب ، بل أيضاً في شكل صور وسواسية . وقد تنبثق الأفكار والصور معا أو قد تظهر مستقلة بعضها عن بعض . ولدى هذا المريض كانت كلمة وسواسية بعينها وصورة وسواسية بعينها تترددان في خاطره بترايط وثيق لردح من الزمن كلما شاهد أباه يدلف إلى الغرفة .

٢ - كلمة تعبر ترجمتها إلى العربية ، ومعناها الأقرب : الاست الأبوية .

- ٢ -

٣ - البطريق Patriarche : لقب شيوخ أسباط بني إسرائيل ، ولقب كبير الإشراف عند الرومان ، ولقب كبير الأساقفة عند المسيحيين الشرقيين ، ومعنى اشتقاقاً الأب . -م-

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في المجلة الدولية للتحليل النفسى الطبى ، المجلد ٤ ، ١٩٦٦ ، -م-



التناسلي ، او استيهامات لاشعورية تفضي الى تعاوي الكائن  
بتماحه بأعضائه التناسلية ، او تعابير لطيفة كقولنا : «أنا كلي  
أذن » .

لقد بدا لي رسم قسّمات الوجه على بطن الصورة الكاريكاتورية  
مستغربا جدا في بادئ الامر ، لكن سرعان ما تذكرت ان ناظري  
وقعا على شيء من هذا القبيل في الرسوم الكاريكاتورية  
الفرنسية (٤) . ثم شئت المصادفة ان تقع تحت يدي صورة من  
العصور القديمة تطابق بدقة صورة مريشي الوسواسية .

فيمقتضى الميتولوجيا الاغريقية ، قدمت ديميتريا (٥) التي  
ايولويس (٦) بحثا عن ابنتها المخطوفة ، فاستقبلها ديولس  
وزوجته بوبو ، لكنها عافت الطعام والشراب لشدة حزنها . فرفعت  
عندئذ مضيفتها بوبو طرف ردائها فجأة وكشفت عن بطنها .  
وأرغمتها بذلك على الضحك . ومناقشة هذه النادرة ، التي  
يفترض فيها في أرجح الظن ان تقدم تفسيراً لطقس سحري لم  
يعد اليوم مفهوما ، موجودة في المجلد الرابع من كتاب سالومون  
ريناخ : **العبادات والاساطير والاديان** (١٩١٢) . وقد جاء في هذا  
الكتاب ايضا انه اكتشف في حفريات بريننا (٧) ، في آسيا

- 
- ٤ - انظر : «اليون اللامعتة» ، رسم كاريكاتوري لجان فير لانظرا  
في سنة ١٩٠١ في كتاب انوار فوكس : **العصر الايوني في الكاريكاتور** ،  
١٩٠٤ . اليون هو الاسم القديم والشمري لبريطانيا . وعلى البيضاء . -م-  
٥ - ديميتريا : إلهة الزراعة والارض لدى الاغريق ، وابنتها كورا اختها  
بالزمن . ملك العالم السفلي . وتزوجا وفاسمها ملكة . -م-  
٦ - ايولويس : مدينة المرقية كان فيها معبد مشهور يحتفل فيه بأسرار  
ايولويس . -م-  
٧ - بريننا : مدينة أولية قديمة في آسيا الصغرى . -م-

الصغرى ، آجر مشوي يمثل بوبو ، وهو عبارة عن جسم امرأة بلا  
رأس ولا صدر . وعلى بطنه رسم وجه : والرداء المرفوع يحيط  
بهذا الوجه وكأنه اكليل من الشعر (٨) .

---

٨ - سالومون ريناخ : المصدر المذكور أعلاه ، ص ١١٧ .

في غيبة من الوداعة والروعة ( This Sweet Woman )  
 مما ترك في انطباعنا آسرا ، وخطرت  
 الفكرة التالية : كلا ، لا وجود لله ؛ فلو  
 بسوق هذه المرأة العجوز الطيبة ( This Dear Old Man )  
 الى قاعة التشريح .

« في أثناء أوبتي في عصر ذلك اليوم اثر  
 تأثير المشهد الذي رأيته في قاعة التشريح  
 في كنيسة بعد ذلك اليوم ابدا . وكانت  
 مذاهب المسيحية .

« لكن فيما كنت لا ازال اعيش تكري . ذلك كله ، طفق صوت  
 يتكلم في داخل نفسي ، منبها اباي الى  
 التروي بقراري .

« وفي الايام التالية ابان الله لنفسي بوضوح ان الكتاب المقدس  
 هو كلمة الله ، وان كل ما تلقى اياه عن يسوع المسيح صحيح ،  
 وان يسوع هو املنا الوحيد . وعلى اثر هذا التجلي صرت ارى  
 في الكتاب المقدس كلام الله ، وفي يسوع المسيح منقدي . ومنذ  
 تجلى لي الله مرارا ببيانات لا مسيل الى الخطأ في تأويلها .

« وبصفتي طبيبا وأخا ( Brother Physician ) ارجو  
 ان توجه افكارك نحو هذا الموضوع الهام : واؤكد لك انك لم  
 اوليته اهتمامك وفتحت له كل عقلك . فسيكشف الله لنفسك  
 انما من الحقيقة ، نظير ما فعل . . . . .  
 لقد اجبت مرارا . . . . .  
 1928 - 1929 - 1930 - 1931 - 1932 - 1933 - 1934 - 1935 - 1936 - 1937 - 1938 - 1939 - 1940 - 1941 - 1942 - 1943 - 1944 - 1945 - 1946 - 1947 - 1948 - 1949 - 1950 - 1951 - 1952 - 1953 - 1954 - 1955 - 1956 - 1957 - 1958 - 1959 - 1960 - 1961 - 1962 - 1963 - 1964 - 1965 - 1966 - 1967 - 1968 - 1969 - 1970 - 1971 - 1972 - 1973 - 1974 - 1975 - 1976 - 1977 - 1978 - 1979 - 1980 - 1981 - 1982 - 1983 - 1984 - 1985 - 1986 - 1987 - 1988 - 1989 - 1990 - 1991 - 1992 - 1993 - 1994 - 1995 - 1996 - 1997 - 1998 - 1999 - 2000 - 2001 - 2002 - 2003 - 2004 - 2005 - 2006 - 2007 - 2008 - 2009 - 2010 - 2011 - 2012 - 2013 - 2014 - 2015 - 2016 - 2017 - 2018 - 2019 - 2020 - 2021 - 2022 - 2023 - 2024 - 2025 - 2026 - 2027 - 2028 - 2029 - 2030 - 2031 - 2032 - 2033 - 2034 - 2035 - 2036 - 2037 - 2038 - 2039 - 2040 - 2041 - 2042 - 2043 - 2044 - 2045 - 2046 - 2047 - 2048 - 2049 - 2050 - 2051 - 2052 - 2053 - 2054 - 2055 - 2056 - 2057 - 2058 - 2059 - 2060 - 2061 - 2062 - 2063 - 2064 - 2065 - 2066 - 2067 - 2068 - 2069 - 2070 - 2071 - 2072 - 2073 - 2074 - 2075 - 2076 - 2077 - 2078 - 2079 - 2080 - 2081 - 2082 - 2083 - 2084 - 2085 - 2086 - 2087 - 2088 - 2089 - 2090 - 2091 - 2092 - 2093 - 2094 - 2095 - 2096 - 2097 - 2098 - 2099 - 2100 - 2101 - 2102 - 2103 - 2104 - 2105 - 2106 - 2107 - 2108 - 2109 - 2110 - 2111 - 2112 - 2113 - 2114 - 2115 - 2116 - 2117 - 2118 - 2119 - 2120 - 2121 - 2122 - 2123 - 2124 - 2125 - 2126 - 2127 - 2128 - 2129 - 2130 - 2131 - 2132 - 2133 - 2134 - 2135 - 2136 - 2137 - 2138 - 2139 - 2140 - 2141 - 2142 - 2143 - 2144 - 2145 - 2146 - 2147 - 2148 - 2149 - 2150 - 2151 - 2152 - 2153 - 2154 - 2155 - 2156 - 2157 - 2158 - 2159 - 2160 - 2161 - 2162 - 2163 - 2164 - 2165 - 2166 - 2167 - 2168 - 2169 - 2170 - 2171 - 2172 - 2173 - 2174 - 2175 - 2176 - 2177 - 2178 - 2179 - 2180 - 2181 - 2182 - 2183 - 2184 - 2185 - 2186 - 2187 - 2188 - 2189 - 2190 - 2191 - 2192 - 2193 - 2194 - 2195 - 2196 - 2197 - 2198 - 2199 - 2200 - 2201 - 2202 - 2203 - 2204 - 2205 - 2206 - 2207 - 2208 - 2209 - 2210 - 2211 - 2212 - 2213 - 2214 - 2215 - 2216 - 2217 - 2218 - 2219 - 2220 - 2221 - 2222 - 2223 - 2224 - 2225 - 2226 - 2227 - 2228 - 2229 - 2230 - 2231 - 2232 - 2233 - 2234 - 2235 - 2236 - 2237 - 2238 - 2239 - 2240 - 2241 - 2242 - 2243 - 2244 - 2245 - 2246 - 2247 - 2248 - 2249 - 2250 - 2251 - 2252 - 2253 - 2254 - 2255 - 2256 - 2257 - 2258 - 2259 - 2260 - 2261 - 2262 - 2263 - 2264 - 2265 - 2266 - 2267 - 2268 - 2269 - 2270 - 2271 - 2272 - 2273 - 2274 - 2275 - 2276 - 2277 - 2278 - 2279 - 2280 - 2281 - 2282 - 2283 - 2284 - 2285 - 2286 - 2287 - 2288 - 2289 - 2290 - 2291 - 2292 - 2293 - 2294 - 2295 - 2296 - 2297 - 2298 - 2299 - 2300 - 2301 - 2302 - 2303 - 2304 - 2305 - 2306 - 2307 - 2308 - 2309 - 2310 - 2311 - 2312 - 2313 - 2314 - 2315 - 2316 - 2317 - 2318 - 2319 - 2320 - 2321 - 2322 - 2323 - 2324 - 2325 - 2326 - 2327 - 2328 - 2329 - 2330 - 2331 - 2332 - 2333 - 2334 - 2335 - 2336 - 2337 - 2338 - 2339 - 2340 - 2341 - 2342 - 2343 - 2344 - 2345 - 2346 - 2347 - 2348 - 2349 - 2350 - 2351 - 2352 - 2353 - 2354 - 2355 - 2356 - 2357 - 2358 - 2359 - 2360 - 2361 - 2362 - 2363 - 2364 - 2365 - 2366 - 2367 - 2368 - 2369 - 2370 - 2371 - 2372 - 2373 - 2374 - 2375 - 2376 - 2377 - 2378 - 2379 - 2380 - 2381 - 2382 - 2383 - 2384 - 2385 - 2386 - 2387 - 2388 - 2389 - 2390 - 2391 - 2392 - 2393 - 2394 - 2395 - 2396 - 2397 - 2398 - 2399 - 2400 - 2401 - 2402 - 2403 - 2404 - 2405 - 2406 - 2407 - 2408 - 2409 - 2410 - 2411 - 2412 - 2413 - 2414 - 2415 - 2416 - 2417 - 2418 - 2419 - 2420 - 2421 - 2422 - 2423 - 2424 - 2425 - 2426 - 2427 - 2428 - 2429 - 2430 - 2431 - 2432 - 2433 - 2434 - 2435 - 2436 - 2437 - 2438 - 2439 - 2440 - 2441 - 2442 - 2443 - 2444 - 2445 - 2446 - 2447 - 2448 - 2449 - 2450 - 2451 - 2452 - 2453 - 2454 - 2455 - 2456 - 2457 - 2458 - 2459 - 2460 - 2461 - 2462 - 2463 - 2464 - 2465 - 2466 - 2467 - 2468 - 2469 - 2470 - 2471 - 2472 - 2473 - 2474 - 2475 - 2476 - 2477 - 2478 - 2479 - 2480 - 2481 - 2482 - 2483 - 2484 - 2485 - 2486 - 2487 - 2488 - 2489 - 2490 - 2491 - 2492 - 2493 - 2494 - 2495 - 2496 - 2497 - 2498 - 2499 - 2500 - 2501 - 2502 - 2503 - 2504 - 2505 - 2506 - 2507 - 2508 - 2509 - 2510 - 2511 - 2512 - 2513 - 2514 - 2515 - 2516 - 2517 - 2518 - 2519 - 2520 - 2521 - 2522 - 2523 - 2524 - 2525 - 2526 - 2527 - 2528 - 2529 - 2530 - 2531 - 2532 - 2533 - 2534 - 2535 - 2536 - 2537 - 2538 - 2539 - 2540 - 2541 - 2542 - 2543 - 2544 - 2545 - 2546 - 2547 - 2548 - 2549 - 2550 - 2551 - 2552 - 2553 - 2554 - 2555 - 2556 - 2557 - 2558 - 2559 - 2560 - 2561 - 2562 - 2563 - 2564 - 2565 - 2566 - 2567 - 2568 - 2569 - 2570 - 2571 - 2572 - 2573 - 2574 - 2575 - 2576 - 2577 - 2578 - 2579 - 2580 - 2581 - 2582 - 2583 - 2584 - 2585 - 2586 - 2587 - 2588 - 2589 - 2590 - 2591 - 2592 - 2593 - 2594 - 2595 - 2596 - 2597 - 2598 - 2599 - 2600 - 2601 - 2602 - 2603 - 2604 - 2605 - 2606 - 2607 - 2608 - 2609 - 2610 - 2611 - 2612 - 2613 - 2614 - 2615 - 2616 - 2617 - 2618 - 2619 - 2620 - 2621 - 2622 - 2623 - 2624 - 2625 - 2626 - 2627 - 2628 - 2629 - 2630 - 2631 - 2632 - 2633 - 2634 - 2635 - 2636 - 2637 - 2638 - 2639 - 2640 - 2641 - 2642 - 2643 - 2644 - 2645 - 2646 - 2647 - 2648 - 2649 - 2650 - 2651 - 2652 - 2653 - 2654 - 2655 - 2656 - 2657 - 2658 - 2659 - 2660 - 2661 - 2662 - 2663 - 2664 - 2665 - 2666 - 2667 - 2668 - 2669 - 2670 - 2671 - 2672 - 2673 - 2674 - 2675 - 2676 - 2677 - 2678 - 2679 - 2680 - 2681 - 2682 - 2683 - 2684 - 2685 - 2686 - 2687 - 2688 - 2689 - 2690 - 2691 - 2692 - 2693 - 2694 - 2695 - 2696 - 2697 - 2698 - 2699 - 2700 - 2701 - 2702 - 2703 - 2704 - 2705 - 2706 - 2707 - 2708 - 2709 - 2710 - 2711 - 2712 - 2713 - 2714 - 2715 - 2716 - 2717 - 2718 - 2719 - 2720 - 2721 - 2722 - 2723 - 2724 - 2725 - 2726 - 2727 - 2728 - 2729 - 2730 - 2731 - 2732 - 2733 - 2734 - 2735 - 2736 - 2737 - 2738 - 2739 - 2740 - 2741 - 2742 - 2743 - 2744 - 2745 - 2746 - 2747 - 2748 - 2749 - 2750 - 2751 - 2752 - 2753 - 2754 - 2755 - 2756 - 2757 - 2758 - 2759 - 2760 - 2761 - 2762 - 2763 - 2764 - 2765 - 2766 - 2767 - 2768 - 2769 - 2770 - 2771 - 2772 - 2773 - 2774 - 2775 - 2776 - 2777 - 2778 - 2779 - 2780 - 2781 - 2782 - 2783 - 2784 - 2785 - 2786 - 2787 - 2788 - 2789 - 2790 - 2791 - 2792 - 2793 - 2794 - 2795 - 2796 - 2797 - 2798 - 2799 - 2800 - 2801 - 2802 - 2803 - 2804 - 2805 - 2806 - 2807 - 2808 - 2809 - 2810 - 2811 - 2812 - 2813 - 2814 - 2815 - 2816 - 2817 - 2818 - 2819 - 2820 - 2821 - 2822 - 2823 - 2824 - 2825 - 2826 - 2827 - 2828 - 2829 - 2830 - 2831 - 2832 - 2833 - 2834 - 2835 - 2836 - 2837 - 2838 - 2839 - 2840 - 2841 - 2842 - 2843 - 2844 - 2845 - 2846 - 2847 - 2848 - 2849 - 2850 - 2851 - 2852 - 2853 - 2854 - 2855 - 2856 - 2857 - 2858 - 2859 - 2860 - 2861 - 2862 - 2863 - 2864 - 2865 - 2866 - 2867 - 2868 - 2869 - 2870 - 2871 - 2872 - 2873 - 2874 - 2875 - 2876 - 2877 - 2878 - 2879 - 2880 - 2881 - 2882 - 2883 - 2884 - 2885 - 2886 - 2887 - 2888 - 2889 - 2890 - 2891 - 2892 - 2893 - 2894 - 2895 - 2896 - 2897 - 2898 - 2899 - 2900 - 2901 - 2902 - 2903 - 2904 - 2905 - 2906 - 2907 - 2908 - 2909 - 2910 - 2911 - 2912 - 2913 - 2914 - 2915 - 2916 - 2917 - 2918 - 2919 - 2920 - 2921 - 2922 - 2923 - 2924 - 2925 - 2926 - 2927 - 2928 - 2929 - 2930 - 2931 - 2932 - 2933 - 2934 - 2935 - 2936 - 2937 - 2938 - 2939 - 2940 - 2941 - 2942 - 2943 - 2944 - 2945 - 2946 - 2947 - 2948 - 2949 - 2950 - 2951 - 2952 - 2953 - 2954 - 2955 - 2956 - 2957 - 2958 - 2959 - 2960 - 2961 - 2962 - 2963 - 2964 - 2965 - 2966 - 2967 - 2968 - 2969 - 2970 - 2971 - 2972 - 2973 - 2974 - 2975 - 2976 - 2977 - 2978 - 2979 - 2980 - 2981 - 2982 - 2983 - 2984 - 2985 - 2986 - 2987 - 2988 - 2989 - 2990 - 2991 - 2992 - 2993 - 2994 - 2995 - 2996 - 2997 - 2998 - 2999 - 3000 - 3001 - 3002 - 3003 - 3004 - 3005 - 3006 - 3007 - 3008 - 3009 - 3010 - 3011 - 3012 - 3013 - 3014 - 3015 - 3016 - 3017 - 3018 - 3019 - 3020 - 3021 - 3022 - 3023 - 3024 - 3025 - 3026 - 3027 - 3028 - 3029 - 3030 - 3031 - 3032 - 3033 - 3034 - 3035 - 3036 - 3037 - 3038 - 3039 - 3040 - 3041 - 3042 - 3043 - 3044 - 3045 - 3046 - 3047 - 3048 - 3049 - 3050 - 3051 - 3052 - 3053 - 3054 - 3055 - 3056 - 3057 - 3058 - 3059 - 3060 - 3061 - 3062 - 3063 - 3064 - 3065 - 3066 - 3067 - 3068 - 3069 - 3070 - 3071 - 3072 - 3073 - 3074 - 3075 - 3076 - 3077 - 3078 - 3079 - 3080 - 3081 - 3082 - 3083 - 3084 - 3085 - 3086 - 3087 - 3088 - 3089 - 3090 - 3091 - 3092 - 3093 - 3094 - 3095 - 3096 - 3097 - 3098 - 3099 - 3100 - 3101 - 3102 - 3103 - 3104 - 3105 - 3106 - 3107 - 3108 - 3109 - 3110 - 3111 - 3112 - 3113 - 3114 - 3115 - 3116 - 3117 - 3118 - 3119 - 3120 - 3121 - 3122 - 3123 - 3124 - 3125 - 3126 - 3127 - 3128 - 3129 - 3130 - 3131 - 3132 - 3133 - 3134 - 3135 - 3136 - 3137 - 3138 - 3139 - 3140 - 3141 - 3142 - 3143 - 3144 - 3145 - 3146 - 3147 - 3148 - 3149 - 3150 - 3151 - 3152 - 3153 - 3154 - 3155 - 3156 - 3157 - 3158 - 3159 - 3160 - 3161 - 3162 - 3163 - 3164 - 3165 - 3166 - 3167 - 3168 - 3169 - 3170 - 3171 - 3172 - 3173 - 3174 - 3175 - 3176 - 3177 - 3178 - 3179 - 3180 - 3181 - 3182 - 3183 - 3184 - 3185 - 3186 - 3187 - 3188 - 3189 - 3190 - 3191 - 3192 - 3193 - 3194 - 3195 - 3196 - 3197 - 3198 - 3199 - 3200 - 3201 - 3202 - 3203 - 3204 - 3205 - 3206 - 3207 - 3208 - 3209 - 3210 - 3211 - 3212 - 3213 - 3214 - 3215 - 3216 - 3217 - 3218 - 3219 - 3220 - 3221 - 3222 - 3223 - 3224 - 3225 - 3226 - 3227 - 3228 - 3229 - 3230 - 3231 - 3232 - 3233 - 3234 - 3235 - 3236 - 3237 - 3238 - 3239 - 3240 - 3241 - 3242 - 3243 - 3244 - 3245 - 3246 - 3247 - 3248 - 3249 - 3250 - 3251 - 3252 - 3253 - 3254 - 3255 - 3256 - 3257 - 3258 - 3259 - 3260 - 3261 - 3262 - 3263 - 3264 - 3265 - 3266 - 3267 - 3268 - 3269 - 3270 - 3271 - 3272 - 3273 - 3274 - 3275 - 3276 - 3277 - 3278 - 3279 - 3280 - 3281 - 3282 - 3283 - 3284 - 3285 - 3286 - 3287 - 3288 - 3289 - 3290 - 3291 - 3292 - 3293 - 3294 - 3295 - 3296 - 3297 - 3298 - 3299 - 3300 - 3301 - 3302 - 3303 - 3304 - 3305 - 3306 - 3307 - 3308 - 3309 - 3310 - 3311 - 3312 - 3313 - 3314 - 3315 - 3316 - 3317 - 3318 - 3319 - 3320 - 3321 - 3322 - 3323 - 3324 - 3325 - 3326 - 3327 - 3328 - 3329 - 3330 - 3331 - 3332 - 3333 - 3334 - 3335 - 3336 - 3337 - 3338 - 3339 - 3340 - 3341 - 3342 - 3343 - 3344 - 3345 - 3346 - 3347 - 3348 - 3349 - 3350 - 3351 - 3352 - 3353 - 3354 - 3355 - 3356 - 3357 - 3358 - 3359 - 3360 - 3361 - 3362 - 3363 - 3364 - 3365 - 3366 - 3367 - 3368 - 3369 - 3370 - 3371 - 3372 - 3373 - 3374 - 3375 - 3376 - 3377 - 3378 - 3379 - 3380 - 3381 - 3382 - 3383 - 3384 - 3385 - 3386 - 3387 - 3388 - 3389 - 3390 - 3391 - 3392 - 3393 - 3394 - 3395 - 3396 - 3397 - 3398 - 3399 - 3400 - 3401 - 3402 - 3403 - 3404 - 3405 - 3406 - 3407 - 3408 - 3409 - 3410 - 3411 - 3412 - 3413 - 3414 - 3415 - 3416 - 3417 - 3418 - 3419 - 3420 - 3421 - 3422 - 3423 - 3424 - 3425 - 3426 - 3427 - 3428 - 3429 - 3430 - 3431 - 3432 - 3433 - 3434 - 3435 - 3436 - 3437 - 3438 - 3439 - 3440 - 3441 - 3442 - 3443 - 3444 - 3445 - 3446 - 3447 - 3448 - 3449 - 3450 - 3451 - 3452 - 3453 - 3454 - 3455 - 3456 - 3457 - 3458 - 3459 - 3460 - 3461 - 3462 - 3463 - 3464 - 3465 - 3466 - 3467 - 3468 - 3469 - 3470 - 3471 - 3472 - 3473 - 3474 - 3475 - 3476 - 3477 - 3478 - 3479 - 3480 - 3481 - 3482 - 3483 - 3484 - 3485 - 3486 - 3487 - 3488 - 3489 - 3490 - 3491 - 3492 - 3493 - 3494 - 3495 - 3496 - 3497 - 3498 - 3499 - 3500 - 3501 - 3502 - 3503 - 3504 - 3505 - 3506 - 3507 - 3508 - 3509 - 3510 - 3511 - 3512 - 3513 - 3514 - 3515 - 3516 - 3517 - 3518 - 3519 - 3520 - 3521 - 3522 - 3523 - 3524 - 3525 - 3526 - 3527 - 3528 - 3529 - 3530 - 3531 - 3532 - 3533 - 3534 - 3535 - 3536 - 3537 - 3538 - 3539 - 3540 - 3541 - 3542 - 3543 - 3544 - 3545 - 3546 - 3547 - 3548 - 3549 - 3550 - 3551 - 3552 - 3553 - 3554 - 3555 - 3556 - 3557 - 3558 - 3559 - 3560 - 3561 - 3562 - 3563 - 3564 - 3565 - 3566 - 3567 - 3568 - 3569 - 3570 - 3571 - 3572 - 3573 - 3574 - 3575 - 3576 - 3577 - 3578 - 3579 - 3580 - 3581 - 3582 - 3583 - 3584 - 3585 - 3586 - 3587 - 3588 - 3589 - 3590 - 3591 - 3592 - 3593 - 3594 - 3595 - 3596 - 3597 - 3598 - 3599 - 3600 - 3601 - 3602 - 3603 - 3604 - 3605 - 3606 - 3607 - 3608 - 3609 - 3610 - 3611 - 3612 - 3613 - 3614 - 3615 - 3616 - 3617 - 3618 - 3619 - 3620 - 3621 - 3622 - 3623 - 3624 - 3625 - 3626 - 3627 - 3628 - 3629 - 3630 - 3631 - 3632 - 3633 - 3634 - 3635 - 3636 - 3637 - 3638 - 3639 - 3640 - 3641 - 3642 - 3643 - 3644 - 3645 - 3646 - 3647 - 3648 - 3649 - 3650 - 3651 - 3652 - 3653 - 3654 - 3655 - 3656 - 3657 - 3658 - 3659 - 3660 - 3661 - 3662 - 3663 - 3664 - 3665 - 3666 - 3667 - 3668 - 3669 - 3670 - 3671 - 3672 - 3673 - 3674 - 3675 - 3676 - 3677 - 3678 - 3679 - 3680 - 3681 - 3682 - 3683 - 3684 - 3685 - 3686 - 3687 - 3688 - 3689 - 3690 - 3691 - 3692 - 3693 - 3694 - 3695 - 3696 - 3697 - 3698 - 3699 - 3700 - 3701 - 3702 - 3703 - 3704 - 3705 - 3706 - 3707 - 3708 - 3709 - 3710 - 3711 - 3712 - 3713 - 3714 - 3715 - 3716 - 3717 - 3718 - 3719 - 3720 - 3721 - 3722 - 3723 - 3724 - 3725 - 3726 - 3727 - 3728 - 3729 - 3730 - 3731 - 3732 - 3733 - 3734 - 3735 - 3736 - 3737 - 3738 - 3739 - 3740 - 3741 - 3742 - 3743 - 3744 - 3745 - 3746 - 3747 - 3748 - 3749 - 3750 - 3751 - 3752 - 3753 - 3754 - 3755 - 3756 - 3757 - 3758 - 3759 - 3760 - 3761 - 3762 - 3763 - 3764 - 3765 - 3766 - 3767 - 3768 - 3769 - 3770 - 3771 - 3772 - 3773 - 3774 - 3775 - 3776 - 3777 - 3778 - 3779 - 3780 - 3781 - 3782 - 3783 - 3784 - 3785 - 3786 - 3787 - 3788 - 3789 - 3790 - 3791 - 3792 - 3793 - 3794 - 3795 - 3796 - 3797 - 3798 - 3799 - 3800 - 3801 - 3802 - 3803 - 3804 - 3805 - 3806 - 3807 - 3808 - 3809 - 3810 - 3811 - 3812 - 3813 - 3814 - 3815 - 3816 - 3817 - 3818 - 3819 - 3820 - 3821 - 3822 - 3823 - 3824 - 3825 - 3826 - 3827 - 3828 - 3829 - 3830 - 3831 - 3832 - 3833 - 3834 - 3835 - 3836 - 3837 - 3838 - 3839 - 3840 - 3841 - 3842 - 3843 - 3844 - 3845 - 3846 - 3847 - 3848 - 3849 - 3850 - 3851 - 3852 - 3853 - 3854 - 3855 - 3856 - 3857 - 3858 - 3859 - 3860 - 3861 - 3862 - 3863 - 3864 - 3865 - 3866 - 3867 - 3868 - 3869 - 3870 - 3871 - 3872 - 3873 - 3874 - 3875 - 3876 - 3877 - 3878 - 3879 - 3880 - 3881 - 3882 - 3883 - 3884 - 3885 - 3886 - 3887 - 3888 - 3889 - 3890 - 3891 - 3892 - 3893 - 3894 - 3895 - 3896 - 3897 - 3898 - 3899 -

اثبات ذلك . وكانت نقطة الاوج في الجواب توكيده لي بأنه يصلي لله من اجلي بحرارة ، سائلا اياه ان يهني اليمان الحق Faith To Believe .

ان هذه الصلاة لم تستجب بعد . غير ان الحادث الديني الذي حدث لزميلي يدعو الى التأمل وإعمال الفكر . وقد لا أحجم عن القول بأنه يستاهل بذل محاولة لتأويله ورده الى دوافع وجدانية ، لان هذا الحادث مدهش بحد ذاته ولا يستند الى اساس ممكن من وجهة النظر المنطقية . فمعلوم ، بالفعل ، ان الله يدع قطائع كثيرة اخرى تحدث خلا تواجد جثة امرأة عجوز لطيفة التقاطع على طاولة للتشريح . هكذا كانت الحال في كل زمان وأن ، وما كان لها ان تختلف يوم كان زميلي الاميركي يستكمل دراسته . ومع ذلك ما كان يمكن لهذا الطبيب المتديء ان يكون جاهلا بالعالم الى حد عدم معرفة اي شيء على الاطلاق عن جميع تلك المصائب والفواجع . اذن فلماذا لم يتفجر تمرده على الله الا عندما احس بما احس به في قاعة التشريح ؟ ان من اعتاد على النظر تحليليا الى افعال البشر واحداثهم الباطنة لا يحتاج الى اعمال الفكر كثيرا ليهتدي الى التفسير ، بل اكاد ان اقول ان هذا الاخير انساب من تلقاء نفسه الى ذاكرتي . ففي اثناء مناقشة . اوردت فيها ذكر رسالة زميلي الورع ، رويت انه كتب لي ان وجه جثة المرأة ذكره بوجه امه . والحال ان ذلك لم يرد في رسالته - وعند الامعان في التفكير نشبين انه كن من المستحيل ان يرد فيها ذكر ذلك - ولكن ذلك هو التفسير الذي يفرض نفسه على نحو لا يقاوم تحت تأثير الكلمات الرقيقة التي استذكر بها المرأة المجوزة 'Sweet Faced Dear Old Woman' . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نرد مسؤولية ضعف الحكم لدى الطبيب الشاب الى الانفعال الوجداني الذي حركه لديه ذكرى امه . واذا لم نستطع ان نتحرر من تلك العادة السيئة التي جبل عليها التحليل النفسي باصراره على طلب شهادة تفاصيل ودقائق قابلة لتفسير بسيط

ومغاير دونما حاجة الى الشغل والعلو ، فنستذكر ايضا ان زميلي وصفي لاحقا بأنني طبيب واح (Brother Physician) .

في مقدورنا اذن ان نتمثل الامور على النحو التالي : ان مرأى جسم المرأة العاري (او الذي سينعري) ذكر الفنى بامه ، وايقظ فيه الحنين الاموي المنيق عن عقدة اوديب ، هذا الحنين الذي ان يلبث التمرد على الاب ان يفترن به كتكملة له . وبما ان الاب والله لم يتعدا لديه بعد بما فيه الكفاية واحدهما عن الآخر ، فان ارادة اثناء الاب يمكن ان تغدو واعية في صورة شك في وجود الله وان تسعى الى تبرير نفسها في نظر العقل بالسخط الذي تشبه المعاملة السيئة التي يعامل بها الموضوع الاموي . والدافع الفريري الجديد المنقول الى المخمر الديني ما هو الا تكرار للموقف الاوديبى ، ولهذا فانه ينتهي سريعا الى المال نفسه ، ويسقط في تيار مضاد قوي . وفي اثناء النزاع لا يبقى مستوى النقل ثابتا ، اذ لم يرد ذكر لاية حجج ترمي الى تبرير فعله الله ، كما لم توضح لنا ما البيّنات الاكيدة التي اثبت بها الله وجوده للمرتاب . بل يبدو ان النزاع دار في شكل عصاب هاوسي ، اذ سمع المرتاب اصواتا داخلية تنه عن مقاومة الله . ويتظاهر مال الصراع من جديد على المستوى الديني ؛ وهذا المال متحدد مسبقا بمصير عقدة اوديب بالذات ؛ وهو يتمثل في خضوع كامل لمشية الله الاب ، فاذا بالفنى يراد مؤمنا ، وبقل بكل ما لقن اياه منذ نعومة اظفاره عن الله ويسوع المسيح . فلقد عاش حدثا دينيا . وكان نصيبه الاهتداء .

ان هذا كله اني غاية من البساطة والشفافية بحيث لا يسمعا الا ان نساكن ان لم يكن فهم هذه الحالة يشكل خطوة الى الامام في سكونوجيا الاهتداء الديني . واني لاحيل القارئ هنا الى كتاب ميثاق اسماكت دي سالكتس **الاهتداء الديني** - اولونسا . ١٩٢٤ يستفيد من جميع مكتشفات التحليل النفسي . والذي مطالعة هذا المؤلف يتأكد لنا ما كان يمكن لنا ان نتوقعه ؛ صحيح ان ليست

جميع حالات الإتهام قابلة للتناول بمثل السهولة التي أولنا بها  
الحالة التي رويناها هنا ، لكن حاشا لا تناقض في أية نقطة الآراء  
التي كوتها البحث المعاصر بصدد هذا الموضوع . وما يميز  
ملاحظتنا هو كونها ترتبط بمناسبة خاصة تتيح للشك أن يثور  
ل مرة أخيرة قبل أن يتطلب عليه الفرد بصورة نهائية .

## التحليل النفسي واثبات الوقائع في المضايق القضائي بمنهج تشخيصي (١)

سادتي ،

أن الإدراك المتعاطف لضرورة عدم إيلاء ثقة كبيرة للشهادة ،  
التي تمثل في الوقت الراهن في مضمار العدالة أساس عدد لا  
يحصى من أحكام الادانة ، قد عزز لديكم ولا شك ، أنتم قضاة  
العد ومحامييه ، الاهتمام المنصب على منهج جديد في البحث  
والتنقيب قمين بأن يرغم المتهم على أن يثبت بنفسه ، بقواله

---

١ - محاضرة القاها فرويد في إطار دروس الدكتور لاوثر العملية في  
جامعة فيينا في حزيران ١٩٠٦ ، ونشرت للمرة الأولى في «ملفات الأناشيد»  
الاجرامية والتحليل الاجرام» التي كان يصورها هانس غروس ، المجلد ٢٦ ،  
١٩٠٦ .

موضوعية ، جرمه او براءته . وقصوام هذا المنهج تجارب سيكولوجية ، واساسها مباحث سيكولوجية ؛ وهو وثيق الصلة بتصورات محددة لم تطوّر في مضمار علم النفس الطبي الا مؤخرًا . وأنا اعلم انكم في سبيلكم الى امتحان صلاحية هذا المنهج الجديد ومدى قيمته بواسطة تجارب يمكن وصفها بأنها «تعارين على اشباح» (Phantomubungen) ؛ وقد لبيت بتلief دعوة رئيسكم . الاستاذ لاوفلر Loeffler ، لأشرح لكم بمزيد من التفصيل وشائج هذه الطريقة بالتحليل النفسي .

انتم جميعكم تعرفون اللعبة الجماعية ولعبة الاولاد التي مؤداها الغاء كلمة ما وإلزام الشريك بأن يضيف اليها كلمة ثانية تؤلف ، متى ما اقتربت بالاولى ، كلمة مركبة . كقولنا مثلاً : سم ، سار = سمسار . وتجربة النداعي التي ادخلتها مدرسة فونت (٢) على علم النفس ما هي الا ضرب من لعبة الاولاد هذه وان افترقت الى شرط واحد من شروطها . وبالفعل ، ان قوام هذه التجربة إسماع شخص من الاشخاص كلمة ما - الكلمة الحاتة - وعلى الشخص ان يجيب عن هذه الكلمة بأسرع ما يمكن بكلمة ثانية تحظر بهاله ، وهذا ما يسمى بـ «الاستجابة» ، لكن من دون ان يفرض عليه اي حد في اختيار كلمة الاستجابة هذه . وموضوع الرصد والملاحظة هو الوقت اللازم للاستجابة ، والعلاقة القائمة بين الكلمة الحاتة والاستجابة ، وهي علاقة يمكن ان تكون على قدر كبير من التنوع . غير انه لا يمكن القول ان هذه التجارب تمخضت في بادئ الامر عن نتيجة مرموقة . وهذا مفهوم . لانها اجريت من دون ان يطرح السؤال على اساس معين . وكانت تقتصر الى

٢ - فلهلم فونت : فيلسوف وعالم نفس ألماني (١٨٢٩ - ١٩٢٠) ، مؤسس علم النفس التجريبي .

فكرة قابلة للتطبيق على النتائج المحرزة . وهي لم تأخذ كامل معناها ولم تصبح خصبة الا حين شرع بلولر (٣) Bleuler وتلامذته في ميونيخ ، وبالاخص يونغ (٤) ، بالاهتمام بـ «تجارب الترابط» هذه . ومع ذلك لم تكتسب التجارب الاخيرة هذه من قيمة الا بفضل الفرضية التي تنص على ان الاستجابة للكلمة الحاتة لا يمكن ان تكون بنت المصادفة ، بل هي متحددة بالضرورة والحتم لدى المستجيب بمضمون سابق الوجود من التمثلات .

لقد اعتدنا ان نطلق اسم «العقدة» على مضمون التمثلات القادر ، على هذا النحو ، على التأثير على الاستجابة الكلمة الحاتة . ويتظاهر هذا التأثير إما بان تمس الكلمة الحاتة العقدة مسا مباشراً ، وأما بان تفلح هذه العقدة في الاتصال بالكلمة الحاتة عن طريق توسطات . وجبرية الاستجابة هذه واقعة جديرة بكل انتباه ؛ واو راجعتم ما كتب حول هذا الموضوع لوجدتم كم كانت الدهشة التي اثارها كبيرة وسافرة . غير انه لا مجال للشك في صدق الواقعة ، لان بوسعكم بصورة عامة ان تخبروا هذه العقدة ذات التأثير وأن تفهموا ، بفضلها ، استجابات كان من شأنها ان تبقى في غير هذه الحال لامقبومة ، وحسبكم لذلك ان تستجوبسوا الشخص الراد للفعل حول دوافع استجابته . والامثلة الواردة في الصفحات ٦ ، ٨ ، ٩ من دراسة يونغ (٥) قيمة بان تحملنا

٣ - يوجين بلولر : طبيب نفسي سويسري (١٨٥٧ - ١٩٢٩) ، حاول تطبيق نظرية فرويد في علاج قصام الشخصية ، وكان يونغ مساعده .  
٤ - كارل غوستاف يونغ : طبيب نفسي سويسري (١٨٥٩ - ١٩٦١) ، ساهم مع فرويد في تأسيس التحليل النفسي ، لكنه اختلف معه لاحقاً واتسق عنه .

٥ - يونغ : التشخيص السيكلوجي للوفائع القانونية في مباحث في الطب النفسي والقانون ، ١٩٠٦ ، م ٤ ، ٢ ،







الذي يهمه ان يعرف ما اذا كانت بعض الوقائع المعروفة لديه معروفة ايضا من قبل المتهم بوصفه فاعل هذه الوقائع . ويدعو ان فريشمان Wertheimer وكلاين Klein ، وهما من تلاميذ عالم الاجرام هانس غروس Gross في براغ ، كانا اول من شرع بتعديل نظام التجربة في هذا الاتجاه ، البالغ الاهمية من وجهة نظركم (٨) .

لقد علمتمكم تجاربكم بالذات انه توجد في الاستجابات . في انحاء تلك الاستقطاقات ، نقاط استدلال شتى تبين لكم ان تفرروا هل يعاني الشخص المفحوص او لا يعاني العقدة التي تسعون الى التأثير عليها بكلمات حائنة . وسوف اعددتها لكم تباعا : ١ - المحتوى اللامتوقع للاستجابة والمستوجب لتفسير ؛ ٢ - اطالة زمن الاستجابة ، اذا لم تلتق الكلمات الحائنة التي مست العقدة جوابا الا بعد تأخر ملحوظ (يبلغ في كثير من الاحيان اضعاف زمن الاستجابة المعتاد) ؛ ٣ - الخطأ الذي يظهر في التكرار . وانتم تعلمون ما الواقعة الالفة للنظر الملمع اليها هنا . فعندما نعيد طرح مجموعة من الكلمات الحائنة على الشخص المفحوص بعد مرور وقت وجيز على طرحها عليه في تجربة اولى ، نجده بكمسرر استجابات المرة الاولى عينها ؛ ولا يستبدل الاستجابة الاولى بأخرى مقابلة الا بالنسبة الى الكلمات التي مست العقدة مباشرة ؛ ٤ - واقعة الاستمرار (وساقول بالاحري : استمرار المفعول بعد انتهاء التجربة) . وبالفعل ، كثيرا ما يحدث ان يستمر المفعول الناجم عن استيقظ العقدة بكلمة حائنة (كلمة حرجة) تعنيها (وعلى سبيل المثال اطالة زمن الاستجابة) ، فيعدل حتى الاستجابات للكلمات التالية غير الحرجة . اذن ، فحيثما التقي هذه القرائن كافة ، او عدد كبير منها على الأقل ، تكن العقدة التي

٨ - نقلًا عن يونغ ؛ المصدر الانجليزي .

لعرقها قد تكشف عن انها باعثة على الاضطراب لدى الشخص المستنطق . وعليكم ان تقيموا هذا الاضطراب على النحو التالي : ان العقدة المائلة لدى الشخص المستنطق مشحونة وجدانيا وقادرة بالتالي على سحب كمية معينة من الانتباه من مجهود الاستجابات ؛ وبذلك يحق لكم ان تروا في هذا الاضطراب حالة من حالات «الخيانة النفسية للذات» .

اعلم انكم تهتمون في الوقت الراهن بالمصادفات وبالصعوبات التي تكتنف هذه الطريقة التي من شأنها ان تقود الظنين الى فضح نفسه بنفسه موضوعيا ، ولهذا الغت انتباهكم الى الواقعة التالية: وهي انه يجري ، منذ نحو عشرة اعوام ، وفي مضمار آخر ، استخدام طريقة مشابهة تماما بغية كشف المادة النفسية الخفية او المخفية . وسأحاول ان اضع تحت انظاركم ، بقدر الامكان ، نقاط التشابه والاختلاف .

ان ذلك المضمار مغاير جدا بكل تأكيد لمضماركم . وقصدي هنا ان اتكلم بالفعل عن طريقة علاج بعض «الامراض العصبية» التي تسمى بالاعصاب النفسية والتي يمكن ان يكون من نماذجها الهستيريا والافكار الوسواسية . وهذه الطريقة تدعى بالتحليل النفسي ، وكنت انا من طورها بالاستناد الى طريقة المعالجة التطهيرية التي كان ج. بروير (٩) السابق الى استخدامها فسي

٩ - جوزيف بروير ؛ زميل فرويد عمل معه في بداية حياته العلمية في مختبر الدكتور برنك وانشرك معه عام ١٨٩٥ في تأليف كتاب بعنوان «دراسات في الهستيريا» . وكان بروير يكبره بأربعة عشر عاما ، وكان يستخدم التتوبيم العنقي في علاج المرضى النفسيين ، ثم ما لبث ان استعاض عنه بطريقة التطهير (كاتاريسيس) التي تقوم على انزاع الاسرار التي ترعق المريض من افكار وعواطف مكبوتة . ولكن فرويد لم يقف عند الحد الذي وصل اليه بروير ، =

فبينما (١٠) ، واستبقا للدعشة التي قد تبدلتها . أجد أنما على أن اعرض لكم التشابه الدائم بين المجرم والمهستر . فالامر لديهم كليهما امر سر . امر شيء مخفي . لكن تحاشيا لكل مفارقة . سبادر للحال الى التنويه بالفارق بينهما . فالمر لدى المجرم سر معروف من قبله وهو يخفيه عنكم . أما المهستر فمحبوب من قبله وخفي عليه هو نفسه . اذ لك ممكن لا اجل . كما يتنازع بعد ذاب وطول بحث . فجميع تلك الامراض تنامي من كون اولئك الأشخاص قد نجحوا نجاحا عظيما في كبت بعض الذكريات والتمثلات المشحونة شحنا وجدانيا قويا . وكذلك الرغبات الجنسية على هذه الذكريات والتمثلات . بحيث ما عادت في جعلها تلعب اي دور في فكرهم ولا تمثل امام وعيهم . وبذلك تخفى عليهم هم انفسهم . وانما من هذه المادة النفسية المكونة ، من هذه «العقد» تنامي الاعراض البدنية والنفسية التي تقض مضاجع المرضى وكتبتا ضمير ميكت . اذن فالغارق بين المجرم والمهستر اساسي بصدد هذه النقطة .

غير ان مهمة كل من الطبيب المعالج وقاضي الاستئناف واحدة مع ذلك ؛ فعلينا ان نكتشف ما هو خفي ومستتر في النفسية . وقد ابتكرنا لهذا الغرض مجموعة من طرائق الاستقصاء والتحري التي لا تشك في ان السادة رجال القضاء سيخلقون بعضها . نل من المفيد لكم ، من وجهة نظر عملكم . ان تعلموا كيف نعمل نحن الاطباء في مضمار التحليل النفسي . فبعد ان يروي

فانقسمت عرى التعاون بين الاثنين . ومضى فرويد في طريق التحليل النفسي وحيدا . وقد كتب فرويد فيما بعد بقول : ان تطور التحليل النفسي قد كنهه صداقة بروير وانه لم يكن من السهل عليه دفع هذا الشئ . لكن لم يكن في مقدوري ان اغادى ما كان .

١٠ - ج . بروير وسفرو . فرويد : دراسات في الهستيريا : ١٨٩٥ .

أعرض لمرأى قصته . تدعو الى إسلاس قياد نفسه لتداعياته واني أخبرنا بما يرد الى خاطره بلا تفيد نقدي . ونحن بدلاسك نطلق من فرضية . لا يشافرنها هو نفسه ابناها . ومؤداهها ان تداعياته لن تكون امشاطية . بل سنحدد بعلاقتها بسره ؛ «عقدته» . بحيث يمكن اعتبارها . اذا جاز القول . قسائل (١١) من عقده . وكما ترون ، فاتنا عين الفرضية التي يفضلها وجدتم انه من الممكن تاويل تحارب التراط . غير ان المرض . الذي نطلب اليه ان يتبع القاعدة وان يبلغنا بكل تداعياته . لا يبدو قادرا على فعل ذلك . فبو يمسك عنا نارة واحدا من تلك التداعيات ، وطورا واحدا آخر . متوسلا بذرايع شتى ؛ فيما ان هذا التداعي عادم الاهمية . واما انه خارج نطاق المسألة . واما انه عابر من كل معنى . وعندئذ نطالبه بإطلاعنا على تداعيه . ومتابعته بالرغم من تلك الاعتراضات . وذلك على وجه التحديد لان هذا النقد ، باعلانه عن نفسه وتظاهره للنور ، يقدم لنا دليلا على ان ذلك التداعي ذو صلة بالعقدة التي نسعى الى كشفها . ونحن نرى في مسلك المريض هذا تجليا لـ «المقاومة» الكامنة فيه . هذه المقاومة التي تبقى ماثلة طول مدة العلاج . وبودي الإشارة باختصار الى ان فكرة المقاومة هذه قد تبست اعظم الاهمية في فهمنا لتكوين المرض ولأولية شفائه على حد سواء .

ولا يسعكم انتم ان تلاحظوا مباشرة هذا النوع من نقد التداعيات في تجاربكم ؛ وبالمقابل ندرج هنا الامكانية في التحليل النفسي . نرصد جميع المؤشرات والقرائن البارزة المتوافقة من قبلكم والدالة على عقدة ما . فحين لا يعود المريض يجزئ على مخالفة القاعدة

١١ - القسائل ومفردات بسيطة : غير الاصل بل عود يقطع عن شجرته فيغرس .

التي املت عليه . نلاحظ مع ذلك انه يتوقف احيانا في تفصيل تداعياته الينا ، وانه يتردد ويطلق الوقفات . وكل تردد من هذه الترددات يتم في نظرنا ، نحن ، عن تظاهر للمقاومة ويكون لنا بمثابة علامة على الانتماء الى «العقدة» . والحال انه اهم مؤثر بالنسبة الينا ، مثله مثل امثلة زمن الاستجابة بالنسبة اليكم . وقد جربنا هذا المجري في تأويل التردد ، حتى عندما لا يكون هناك ما يدل على ان مضمون التداوي الملجوم ينطوي على اي إشكال . وحتى عندما يؤكد المريض ويجزم بأنه لا يستطيع ان يدرك لمساذا نفرض انه يتردد في نقله الينا . والوقفات التي نلاحظها فسي التحليل النفسي هي بوجه عام أطول مدة من التأخرات النفسي لتسرعي التباهك في تجارب الاستجابة .

اما ثاني مؤثر معلوم لديكم من مؤثرات العقدة ، اي تعديل مضمون الاستجابة ، فيلعب ايضا دوره في تقنية التحليل النفسي . فقد اعتدنا ان نرى دوما في أبسط تغيير بطرا لدى مريضنا على طريقة التعبير عن افكاره اشارة الى معنى خفي ، وقد نعرض انفسنا ، حتى عن طواعية ، بتمسكنا بمثل هذا التأويل . لسخرته وهزله لآمد من الزمن . ونحن نترصد لديه على وجه التحديد العبارات التي يتظاهر فيها اللبس والتي تشف ، من خلال التعبير الحيادي ، عن المعنى الخفي . وليس المريض وحده ، بل حتى الكثيرون من زملائنا الجاهلين بالتقنية التحليلية النفسية وينشرونها الخاصة يابون هنا ان يحفظونا نقته ويحموننا بالتسلط في الشطارة وبالمقابلة في التدقيق بالامور وفي تأويلها ؛ بيد ان الحق غالبا ما يكون معنا في نهاية المطاف . وفي الحقيقة ، ليس من العسير ان ندرك ان السر المكتوم بمثابة لا يتم عن نفسه الا بالمعاني طفيفة ، ملتبسة المعنى في احسن الاحوال . وفي النهاية يعتاد المريض على ان يقدم لنا في شكل «وصف لامباشر» كل ما نحن بحاجة اليه لإمالة اللثام عن العقدة .

وفي مجال أكثر انحدادا ، نستخدم في التحليل النفسي ثلاثة

قرائنكم على العقدة ، الخطأ ، اي التغيير في التكرار . فاحدى العضلات التي كثيرا ما تطرح علينا تتمثل في تأويل الاحلام ، اي في ترجمة مضمون حلم تحفظه الذاكرة الى معناه الخفي . وقد نجد انفسنا احيانا في حيرة من امرنا ازاء الزاوية التي يجدر بنا ان نطرق منها العضلة ، وعندئذ يسعنا استخدام قاعدة اكتشفت اختباريا ومؤداها ان نحمل الحالم على ان يكرر على مسامعنا قصة حلمه . وعندئذ ، وبوجه عام ، يعدل الحالم طريقته فسي التعبير عن افكاره في نقاط شتى ، بينما يكرر اقواله بامانة في نقاط اخرى . وعندئذ ايضا نعتكف على تلك النقاط التي شاب فيها النقل عيب ما ، بفعل التعديل ، وغالبا بفعل الإغفال ايضا ، على اعتبار ان هذه اللامانة في النقل هي لنا بمثابة تأكيد على العلاقة بالعقدة ، ووسيلتنا المثلى الى طلب المعنى الخفي للحلم (١٢) . لكن لا نحسبوا انني انتهيت من بيان التطابقات التي اجد في طلبها عندما سأعترف لكم بأنه لا توجد في التحليل النفسي ظاهرة مماثلة لظاهرة «الاستمرار» . ومرد هذا الفرق الظاهري السى الشروط الخاصة لتجاربكم . فأنتم لا تتركون ، بالاجمال ، لمفعول العقدة الوقت الكافي لينتظر ؛ فما أن تبدأ بإتيان مفعولها حتى تصرفوا انتباه الشخص المفحوس بكلمة حالة ، حيادية فسي الارجح ، ولربما لاحظتم عندئذ ان هذا الشخص يبقى احيانا مشغولا بالعقدة بالرغم من البلبلة التي عرضتموه لها . اما نحن فنحاذر ان نعرض الشخص الذي نحلله لمثل هذه البلبلة ، وتدع مريضنا مشغولا بعقدته ؛ وبما أن كل شيء لدينا «استمرار» ان جاز التعبير ، فاننا لا نستطيع ان نرصد هذه الظاهرة على حدة ومعزولة عما عداها .

ويوسعي توكيده ما يلي : انما لتوصل بصفة عامة . بالفراق  
التي ابتها لكم . التي توعية المريض بمرده . اي بالمكبوت . والردوع  
حد بالتالي للتعين السيكولوجي لاعتراض دانه . لكن قيسل ان  
تستخلصوا من هذا النذج استنتاجات بصدد النجاح المحتمل  
لمباحثكم انتم . سنحدد هنا بعض الفوارق التي يتسم بها الوضع  
السيكولوجي .

كنا اسلفنا التثويه بالفارق الرئيسي : فالمر لدى المريض  
العقلي سر بالنسبة الى وعيه بالذات . اما لدى المجرم فلا سر الا  
بالنسبة اليكم انتم ؛ لدى الاول جهل فعلي . وان لم يكن بجميع  
المعاني التي يمكن ان تعطى للكلمة ؛ اما لدى الثاني فلا وجود الا  
لتظاهر بالجهل . ويترب على هذا فارق مهم آخر من وجهة النظر  
العملية . ففي التحليل النفسي يحاول المريض ان يساعدنا بمسا  
يبدله من مجهود واع ضد مقاومته ، اذ انه يتوقع ان يعود عليه  
الفحص بفائدة : الشفاء ؛ وبالمقابل لا يعمل المجرم معكم . لانه لو  
عمل معكم ليعمل ضد كل اناء . وبالمقارنة . فان مطلبكم الوحيد  
من تحليلكم الوصول الى يقين موضوعي ، بينما لا بد ، في فن  
الشفاء ، من ان يصل المريض نفسه الى مثل هذا اليقين . غير انه  
يبقى ان تعرف ما العقبات وما التعديلات التي سيفرضها على  
طريقتكم انعدام هذا التعاون من جانب الشخص المعوص . وهذا  
وسع لن يكون في مقدوركم ابدا على كل حال ان تحذروه في  
تمارينكم المدرسية ، لان الزميل الذي ستولي عندئذ دور الطالب  
سيكون

باطراد لدى المرضى العصبيين النفسانيين عقدة جنسية مكبوتة  
بأوسع معاني الكلمة . فهذا ما لا نقيم له اعتبارا من منظور  
الفروق . لكن لمة شيئا آخر . فمهمة التحليل النفسي يمكن  
تحديدنا على النحو القطعي التالي في الاحوال طرا : ان المطلوب  
اكتشاف عقد مكبوتة بفعل مشاعر الكدر والتفويض ، وهي عقد  
تصدر عنها ، متى ما حاولت دخول مجال الوعي ، اشارات  
مقاومة . وهذه المقاومة موضعية بمعنى ما : فمكانها التخيم  
الفاصل بين اللاشعور والشعور . اما في الحالات التي تولونها  
اهتمامكم فالمقاومة تابعة بتمامها للشعور . وهذا الفارق لن  
يسعكم التفاضل عنه ، بل عليكم ان تبادروا ، بواسطة التجارب ،  
الى التاكيد معا اذا كانت المقاومة الواعية تقض او لا تقض نفها  
بالعلامات عينها التي تتم بها المقاومة اللاواعية عن نفسها . وبخيل  
الي ، علاوة على ذلك ، انكم لا تستطيعون ان تقطعوا بيقين فيما ان  
كان من حقكم تاويل قرائنكم الموضوعية على العقد على انها  
مقاومات ، كما نفعل ، نحن المعالجين النفسانيين . وبالرغم من  
ان ذلك ليس متواترا لدى المجرمين . فقد يحدث ان تكون العقدة  
التي مستورها لدى الاشخاص موضوع تجاربكم مشحونة  
باللذة ، ومن الجائز في هذه الحال ان تنساءلوا عما اذا كانت  
ستصدر عنها استجابات مماثلة لتلك التي كانت ستصدر عنها  
فيما لو كانت مشحونة بالكدر والتفويض .

يودي التثويه ايضا بما يلي : قد يحدث ان يدخل عنصر ما في  
تجربتكم ، عنصر عادم الوجود بالطبع في التحليل النفسي . ففي  
اتناء استقصائكم وتحريككم قد يضللكم مريض عصبي برده للفعل  
وكانه مدتب ، مع انه بريء ، وهذا لان الشعور بالذنب الكامن  
لديه والواقف بالمرصاد على الدوام يهتبل الفرصة التي يتيحها له  
الانهاج المارجه اليه . ولا تحسبوا هذه الحالة اختلافا لا فائز فيه ؛  
بل حسبكم ان تتوجهوا بفكركم الى غرفة الاولاد لترصدوا حالات  
مناظرة لها كثيرة . فقد يحدث ان نشحوا باليوم على ولد من



الأولاد على عمل ما سيء ، فينكر بيقين راسخ غلطته ، لكنه في الوقت نفسه يبكي وكأنه خاطيء ضابط في الجرم المشهود . وقد يداخلكم الاعتقاد بأن الولد يكذب إذ يؤكد براءته ، لكن قد لا يكون كذلك هو واقع الحال . فالولد لم يرتكب حقا ذلك العمل السيء الذي تتهمة به ، بل ارتكب محله وبدلا منه عملا سيئا آخر انتم به جاهلون ولا تلمونه عليه . إذن فهو محق في إنكار ذنبه المتعلق بأحد العملين السيئين ، لكنه يفضح في الوقت نفسه شعوره بالذنب عن العمل السيء الآخر . والمريض العصبي الراشد يتصرف هنا ، كما يصدد نقاط أخرى كثيرة ، تصرف الولد . وكثيرون هم الافراد الذين من هذه الشاكلة ، ومن الجائز لنا ان نسأل عما اذا كانت طريقتكم ستتوصل الى تمييز هؤلاء الناس - الذين يضعون أنفسهم بأنفسهم على هذا النحو موضع اتهام - من المذنبين الحقيقيين . وسأضيف أيضا ما يلي : انكم تعلمون انه لا يحق لكم ، بموجب قانون الاستنطاق الجنائي ، استخدام سلاح المباغنة مع الظنين . وعليه ، فهو سيعرف سلفا ان المطلوب منه الا يفضح نفسه أثناء التجربة ، وبوسعنا بالتالي ان نسأل ان كان من الجائز ان نوقع استجابات متماثلة في حال تركيز الانتباه على العقدة كما في حال انصرافه عنها ، وإلى أي حد يمكن لنية الكتم والإخفاء ان تؤثر على كيفية الاستجابة لدى هذا الشخص او ذاك .

وعلى وجه التحديد لان الاوضاع التي يفترض فيكم ان تجروا فيها تجاربكم تتميز بالتنوع الشديد ، ترون علم النفس يهتم بالغ الاهتمام بتجاربكم . وقد يكون من المحبذ ان نتوجه اليكم بالرجاء بأن لا تيسروا بأسرع مما ينبغي من جدواها العملية . أما أنا شخصيا ، فان كنت من أبعده الناس بحكم اهتماماتي عن المساهمة في مزاولة القضاء ، فلن أثقل عليكم مع ذلك فيما لو عرضت عليكم اقتراحا آخر ، فمهما تكن ضرورة التمارين المدرسية على

التحضير للاستنطاقات الجنائية . فلن تتوصلوا ابدا الى استباق الوضع السيكولوجي الذي يكون عليه المتهم أثناء التحقيق فسي دعوى ما . فما تمارينكم هذه الا «تمارين على الاشباح» ولا يمكن بحال من الاحوال ان تسوغ التطبيق العملي لهذه الطريقة فسي دعوى جنائية . واذا كنا لا نريد العزوف عن الافادة منها ، فإمامنا الى ذلك الوسيلة التالية . فمن الضروري ان يباح لكم ، بل ان يفرض عليكم كواجب ان تقوموا بمثل هذه الأبحاث طول سنوات وسنوات في كل ما يعرض لكم من دعوى الاتهام الجنائي الفعلية، ولكن من دون ان يؤذن للنتائج التي ستحرزونها عن هذا السبيل بالتأثير ولو بأقل مقدار على قرارات العدالة . والأفضل في هذه الحال الا يتناهى الى العدالة العلم بالاستنتاجات التي تكون أبحاثكم قد قادتكم اليها بصدد تجريم المتهم . وإنما بعد قضاء سنوات كثيرة في تجميع الوقائع وإخضاع النتائج المحرزة لفحص مقارن ، يمكن ان تنبذ الشكوك بصدد المنفعة العملية لهذه الطريقة فسي التحري السيكولوجي . وأنا أعلم ، بكل تأكيد ، ان تحقيق هذه الامنية ليس منوطا بكم وحدكم وبأساذكم التابه الذكر .



في فكرة الحلم» .

ويبدو أن مفسري الأحلام في العصور القديمة قد استخدموا على أوسع نطاق الفرضية التي مؤداها أن الشيء يمكن أن يدل في الحلم على نقيضه . ويسلم بهذه الإمكانية أيضا الباحثون المعاصرون في مفسر الأحلام . وذلك بقدر ما يقررون بصفة عامة بأن للحلم معنى وتأويلا (٢) . واعتقد أنني لا أثير المعارضة أبدا الآخر عندما افترض أن جميع الذين ساروا معي على طريق التأويل العلمي للأحلام قد اقرروا ولا بد بأن التوكيد الأنف الذكر قد أثبتت صحته الوقائع .

لقد تيسر لي . أثناء مطالعتي بالمصادفة لكتاب بقلم لد. آبل (٣) ، أن أفهم سر هذا الميل الغريب الذي يضمم بسببه عمل الحلم : أعني نزوعه إلى تجاهل المناقض وإلى التفسير بتمثل واحد عن أشياء متعاكسة . وأهمية الموضوع سيبرز لي الاستشهاد هنا حرفيا بالمقاطع الفاصلة من بحث آبل (٤) مسجع استيعادي معظم الأمثلة . وهي نطلعننا . بالفعل . على هذا الأمر الباحث على العجب : أن النهج الأنف الذكر ، الذي اعتاد عمل الحلم سلوكه . هو أيضا من خصائص أقدم اللغات المعروفة . فبعد أن اثبت آبل قديم اللغة المصرية ، التي تكونت - ولا بد - قبل زمن طويل من عصر النقوش الهيروغليفية الأولى .

«أذن تشمل اللغة المصرية . وهي الآن الثمين الوحيد المتبقي

## طباق المعاني في الالفاظ البدائية (١)

كمدخل إلى هذا المقال ساورد فترة من كتابي علم الأحلام أعرض فيها ملاحظة مستنتجة من البحث التحليلي . وهي ملاحظة لم تحظ بعد بتفسير :

«أن الطريقة التي يعبر بها الحلم عن مقولتي التضاد والتناقض لباعثة على الدهشة حقا : فهو لا يعبر عنهما ، بل يبدو وكأنه يجهل ال «لا» . ولكم يبرع في الجمع بين التضاد وفي تمثيلها في موضوع واحد . وكثيرا ما يمثل أيضا عنصرا من العناصر بنقيضه ، بحيث لا يسعنا أن نعرف أن كان عنصر بعينه من الحلم - قابل لتأويل متناقض - بشي بمضمون إيجابي أو سلبي

٢ - انظروا : على سبيل المثال : غ. ج. فون شوبرت : رمزية الأحلام . الطبعة الرابعة . ١٨٦٢ . الفصل ٢ : لغة العلم .

٣ - صدر عام ١٨٨٤ على شكل دراسة قبل أن يطبعه الناشر في السنة التالية إلى مجبورة الدراسات في هذه اللغة .

١ - هذا التعليق على كتاب كارل آبل (١٨٨٤) الذي يحمل العنوان نفسه ظهر لأول مرة في حوله الكشف التحليلية النفسية والمرضية النفسية ، المجلد ٢ ، ١٩١٠ .

من عالم بدائي ، على عدد معين من الالفاظ التي لها معنيان ، واحدهما هو بالضبط نقيض الآخر . ولنتصور ، اذا كان في مقدورنا ان نتصور شيئا من هذا القبيل ، استحالة منطقية سارخة كالاستحالة التالية : ان كلمة **قوي** تعني في آن واحد القوي والضعيف ؛ وكلمة **ضوء** تفيد في الدلالة على الضوء والظلمة . عا : استخيل ان بورجوازي من ميونيخ سمي **الجمعة** جمعة ، بينما استخدم بورجوازي آخر اللفظ نفسه في الكلام عن الماء : فهذا يمكن ان يكون مثالا على الطريقة العجيبة التي كان قدامى المصريين يستعملون بها عادة لغتهم . وهل نستطيع ان نلوم ، بعد ذلك ، من اذا طرق مسامعه هذا الكلام من راسه غير مصدق ؟...» (ص ٤) (اولي ذلك امثلة) .

«ازاء هذا المثال وغيره من الامثلة المشابهة الكثيرة على هذا الاستعمال الطباقى للفظ الواحد ، لا يمكن ان يخامرنا الشك في انه قد وجد ، في لغة واحدة على الاقل ، عدد معين من الالفاظ التي تشير الى الشيء وتقيضه معا . ومهما بدا ذلك باعسا على الاستغراب ، فاننا هنا امام واقعة لا مناص لنا من اخذها في حباننا» (ص ٧) .

وبرفض المؤلف هنا التفسير الذي يعلل هذا الوضع بجناس عرضي ، وينكر ، بقوة معاملة ، الفكرة التي ترد هذا الوضع الى نقص في التطور العقلي المصري .

«والحال ان مصر لم تكن بحال من الاحوال موطن للعبث واللامعقول . بل كانت على العكس موطننا من اقدم مواطن العقل البشري الذي كان قيد التطور ... كان لها نظام اخلاقي صاف يفيض نبلا ، وقد صاغت القسم الاكبر من الوصايا العشر في زمن كانت فيه الشعوب ، الموقوفة عليها الحضارة اليوم ، لا تزال تقدم الاضاحي البشرية لاصنامها الظمئة الى الدم . وان شعبا اشعل مصباح العدالة والحضارة في مثل تلك الازمنة المظلمة ما كان له ان يكون شيدا الى غدا احد في لحيته اليومية في الكلام والتفكير...»

وهؤلاء الناس ، الذين كانوا يتقنون صناعة الزجاج ، والذين كان يسمهم ان يحركوا ويرفعوا بالالات كتلا ضخمة ، كان لديهم - ولا يد - قدر كاف من العقل كيلا يعتبروا ان شيئا من الاشياء هو ذاته وتقيضه في آن معا . فكيف نوفق بين هذه الوقائع وبين الواقعة الاخرى المتمثلة في ان المصريين حبسوا انفسهم بمثل تلك اللغة الغريبة والمتناقضة ... واعتادوا ان يعطوا الافكار الاشد تضادا جناسا لفظيا واحدا ، وان يربطوا في ضرب من اتحاد لا تفصم عراه بين ما يتنافى شقاء اشد التناقض !» (ص ٩) .

قبل ان نحاول الاتيان بأي تفسير ، لا بد لنا ان نأخذ في اعتبارنا ايضا ان نهج اللغة المصرية العجيب هذا قد تعزز وتوطد . «لعل الاغرب بين جميع غرائب المعجم المصري ما يلي : فعلاوة على الالفاظ التي تجمع بين المعاني الاشد تعارضا ، توجد في هذا المعجم كلمات مزجية يؤلف فيها لفظان متعاكسا المعنى مركبا ليس له سوى معنى واحد فقط من معني العنصرين المكونين له . وهكذا نجد ان تلك اللغة العجيبة لا تحتوي فقط على الفاظ تعني **قويا** و**ضعيفا** في آن معا فحسب ، او **امر** و**اطاع** فحسب ، بل كذلك على كلمات مزجية مثل **شيخ** - **فتى** . **بعيد** - **قريب** . **ربط** - **فصل** ، **خارج** - **داخل** ... وعلى الرغم من هذا الجمع بين الفاظ ذات معان متنافرة ، فان اولي هذه الكلمات لا تعني سوى **فتى** ، و**ثانيتها قريب** ، و**الثالث ربط** ، و**رابعها داخل** ... اذن فمن قصد وعمد حقا جرى الجمع في هذه الكلمات بين تناقضات في المفاهيم ، وذلك ليس بهدف خلق مقبوم جديد ، كما يحدث في اللغة الصينية احيانا ، بل فقط بقصد التعبير بواسطة تلك الكلمة المزجية ، عن معنى جزء واحد فقط من جزئيات المتضادين . علما بان هذا المعنى كان يمكن ان يؤديه هذا الجزء المنفرد وحده ...» .

يبد ان هذه المشكلة اسهل حلا مما يبدو . فمفاهيمنا ترى التواء

بالاستناد الى المقارنة . « فلو كان الكون مبدئيا طول الوقت لمسا احتجنا الى اجراء اية مقارنة بين التور والعظمة » ولما وجد لدينا لا مفهوم التور ولا لفظه ... » - « من الواضح ان كل شيء نسبي فوق هذه الارض وليس له من وجود مستقل الا بقدر ما تسمح له علاقاته بالاشياء الاخرى بالاقتراب منها او بالتمييز عنها ... » - « ما دام المفروض في كل مفهوم ان يكون الشقيق انوام لتقيضه » فكيف يمكن تعقله لأول مرة بالفكر ، وكيف يمكن نقله الى الآخرين الذين يحاولون بدورهم ان يتعقلوه بالفكر . ان لم يكن بقياسه الى تقيضه ؟ ... » - « ما دام مفهوم القوة غير قابل للتصور خارج اطار طباقه مع الضعف » فان الكلمة التي كانت تعبر عن **القوي** اكتسبت في الذاكرة معنى **الضعيف** ايضا . على اعتبار ان هذا المفهوم الاخير هو الذي اتاح لها في البداية امكانية الوجود . وفي اواقعها ما كانت هذه الكلمة تشير لا الى القوي ولا الى الضعيف حقا . « اما فقط الى العلاقة بينهما والى الفارق الذي خلفهما كليهما » (ص ١٥) - « والحال ان الانسان ما استطاع اكتساب اقدم تدبراته الاساسية الا بفعل التناقض بين القصد وضده ؛ لم يربدا رويدا بعد ذلك تعلم ان يفصل بين لفظي الطباق . وان يتصل كل واحد منهما بالفكر من دون ان يقسه عن عمد بالآخر » . وما دام الكلام لا يفيد فقط في صوغ الفكر الفردي . بل اساسا وجوهرا في اتصاله الى الغير . فمن الجائز لنا ان نتساءل عن الوسيلة التي كان « المصري البدائي » يلجأ اليها لابلغ نداءه بـ « الجزء الذي يقصده في كل مرة من هذا المفهوم المربح » ؟ لقد كان ذلك يتم في الكتابة بواسطة ما يسمى بالصورة « المعبنة » . اي الصور التي كانت ترسم خلف الحروف المكتوبة لتشير السمع معناها من دون ان يكون مطلوبا النطق بها هي نفسها . « حين تعني كلمة كين المصرية **قويا** ، ترسم خلف الصوت الذي تعبر عنه الحروف المكتوبة صورة رجل واقف مسلح ؛ وعندما تعني هذه الكلمة عيناها **ضعيفا** ، ترسم خلف الحروف الممثلة للصوت صورة

رجل جالس متعبد . ومعظم الكلمات الاخرى ذات المعنيين تترفق على نحو مماثل بضرورة تفسيرية » (ص ١٨) . وبحسب ما يتحجب اليه آبل . كانت الحركة المصاحبة للكلمة المنطوقة هي التي تعطي معناها المراد في اللغة المنطوقة .

ان **الجذور الاكثر بدائية** هي الجذور التي نلاحظ فيها . على ما يشهد آبل . ظاهرة المعنى الطباقى المزدوج . اما في مجرى تطور اللغة اللاحق . فان هذا المعنى المزدوج يتلاشى ويضمحل ؛ ويوسعا ان تتبع . في اللغة المصرية القديمة على أي حال . جميع التدرجات الانتقالية من المعنى الطباقى المزدوج القديم الى المدلول الواحد الذي للكلمات في لغتنا الحديثة . فالكلمات المزدوجة المعنى في الاصل تنفصل في اللغة اللاحقة الى كلمتين لكل منهما مدلول واحد . وطرا على كلا المعنيين المتناقضين تليق (تعديل) صوتي طال الجذر الواحد . فكلمة **كين** (قوي ، ضعيف) ، على سبيل المثال . انفصلت حتى في الكتابة الهيروغليفية الى **كين** (قوي) و **كاي** (ضعيف) . « وبعبارة اخرى . ان المعاني التي ما يمكن الاحتفاء اليها الا طباقيا تصير مع مرور الزمن عالقة لدى العقل البشري الى حد يكفي لتوفير وجود مستقل لكل واحد من الجزئين ولتأمين تحقق متمايز في الوقت نفسه لكل منهما » .

ويرى آبل ان هذه البرعمة - سهلة الاجراء - النسيبة الى اللغة المصرية - على وجود طباق في المعاني البدائية . قابلة للتعميم ايضا على اللغات السامية والهندية - الاوروبية . « ويقتضى ان نعرف الى اي مدى يمكن ان يحدث ذلك في امر لغوية اخرى ؛ وآية ذلك انه وان يكن المعنى الطباقى قد فرض نفسه في يادى الامر . ولدى جميع العروق والاجناس . على البشر الذين اجروا عمليات تفكيرية . فليس من الضروري ان يكون قد جرى تعرفه او المحافظة عليه في كل مكان » .

وبلاحظ آبل علاوة على ذلك أن الفيلسوف بين (٤) Bain  
قد صادر . استنادا إلى أسس نظرية خاصة وعلى سبيل الضرورة  
المنطقية . على هذا المعنى المزدوج للكلمات . وهذا من دون أن يقطع  
على ما يبدو . على الواقع . والقطع المنطقي إليه **المنطقي** .  
الكتاب ١ . الفصل ٥٤ . يبدأ على النحو التالي : « إن النسبية  
الجوهريّة لكل معرفة أو فكر أو وعي لا يمكن إلا أن تعكس نفسها  
في اللغة . وإذا نظرنا إلى كل ما نعرفه على أنه تحول وأسفل من  
شيء آخر ، فإن كل تجربة لا بد أن يكون لها وجهان : فإما أن  
تكون لكل اسم معنيان وأما أن يكون لكل معنى اسمان » .

وأود أيضا بما ورد . في ملحق فون إسبينان لأضداد المعاني  
في اللغات المصرية والهندية - الأوروبية والعربية . من أمثلة  
قديمة بأن تتعرف انتباهنا وإن لم تكن من علماء اللغة : فكلمة  
Altus باللاتينية تعني عليا وعميقا : وكلمة Sacer  
معناها قدس وملعون : أي أن المعاني المتناقضة بقيت هنا كما هي  
دولما تعدل حتى في طريقة النطق بها . أما التبدل الصوتي بهدف  
فصل الإضداد فمن أمثلة : Clamare أي صرخ . و Clam  
أي صامت وهادي : و Siccus أي جاف . و Succus  
أي عصير . وفي الألمانية . لا تزال كلمة Boden تشير حتى  
يومنا هذا إلى أعلى ما في البيت كما إلى أدنى ما فيه . ومقابل كلمة  
Bos الألمانية «طال» هناك كلمة Bass «صالح» : وتعارض  
الكلمة الماكسونية القديمة Bat «صالح» مع الكلمة الإنكليزية  
Bar «طال» : ومقابل كلمة To Lock «الغلق» في الإنكليزية  
هناك في الألمانية Loch «أفراج» . لقب . وفي الألمانية

٤ - القسطنطين : فيلسوف اقتصادي ١٨١٨ - ١٨٩٠ . مؤلف علم  
القرية و التلق .  
٥ - لانغز في اللغة .

Kleben «الصق» . وفي الإنكليزية To Cleav «شق» :  
وفي الألمانية Stumm «أبكم» . و Stimme «صوت» . الخ .  
وهكذا قد يكون في وسعنا أن نجد معنى حقيقيا للإضافات التي  
طالما أثار استغربة : Lucus A Non Lucendo .  
بلغت آبل الإضافة في كتابه أصل اللغة . Ursprung Der Sprache  
ص ١٠٥ . إلى مخلفات أخرى أيضا من أبعاد الفكر البدائي . فلا إنكليزي  
لا يزال يقول إلى اليوم كيف يعبر عن «بدون» : Without .  
أي «مع - دون» : كما أن البروسي الشرقي يستخدم تعبير  
Mitohne . وحتى اللفظ With الذي يقابله بالألمانية  
Mit «مع» . كان يدل في الأصل - ولا بد - على مع «بدون»  
معا . كما نستطيع أن نتبين ذلك من Withdraw «انصرف» .  
انسحب» ومن Withhold «التيق» . وهذا التطور عنه  
تلفاه في اللفظ الألماني Wider «ضد» و Wieder  
«معا» مع .

واللغة المصرية خاصة أخرى باللغة الغريبة . ولزام علينا من  
جديد أن نقيم مقارنة بينها وبين عمل الحلم . «ففي المصرية  
يمكن أن تعرض الكلمات - لنقل ظاهريا في بادئ الأمر - لانقلاب  
في معناها كما في معناها . نفترض أن الكلمة الألمانية Gut  
«صالح» هي كلمة مصرية . فعندئذ يمكن أن نعني «طال» بالإضافة  
إلى «صالح» . كذلك فإن Gut يمكن أن تُلَفَّظ Tug .  
وهذا انقلاب . الأكثر تواترا من أن يمكن عزوه إلى الانفساق  
والمصادفة . يمكن التمثيل عليه أيضا بأمثلة كثيرة مستقاة من  
اللغات الآرية والسامية . وإن اقتصرنا كبداية على التعابير  
الجرمانية نجد أن لدينا : Tope - Pot و Boat - Tub  
و Wait - Tauwen و Ruhe - Hurry و Care - Rock  
و Club و Balken - Klobe . وإن أحكمنا إلى اللغات الهندية -  
الأوروبية الأخرى . رجداً عدد حالات انقلاب إنرايد فورد مع عدد  
التعابير موضوع النظر . «نجد على سبيل المثال : Capere - Parken

ren - Niere (Blatt) - Folium the leaf (أورقية)  
 dum - a , domos - mēdh, mūdha. (باليونانية)  
 Kur - iti (بالروسية) - rauchen, kreischen - to shriek .

يسمى آيبل الى تفسير ظاهرة القلب الصوتي للالفاظ بتضعيف الجذر وتشديده . وقد يلقى علينا أن نجاري هنا فقيه اللغة . وسندكر ببهجة الاولاد حين يلعبون بقلب الكلمات صوتيا . ولجود عمل الحلم تواترا الى قلب المادة الفكرية لغايات شتى . لكن ليس ترتيب الحروف هو ما يقلب في هذه الحال . بل ترتيب الصور . إذن فنحن أميل الى عزو قلب الاصوات الى عامل يفعل فعله على مستوى أعمق (٦) .

أن التوافق بين خصائص عمل الحلم التي اشرنا اليها فسي مستهل هذا المقال وبين خصائص العرف الألسني التي اكتشفها فقيه اللغة في أقدم اللغات . يبدو لنا بمثابة توكيد للتصور الذي كونه لا نفستنا عن التعبير عن الفكر في الحلم . وهو تصور مؤداه أن لهذا التعبير طابعا توكسيا يحق القدم . وهنا لا نستطيع أن نرد عنا . نحن الاطباء النفسانيين . فكرة مؤداه أننا سنكون أقدر على فهم لغة الحلم وعلى ترجمتها فيما لو كنا أكثر اطلاعا على تطور اللغة (٧) .

٦ - حول ظاهرة الابدان في اللغة . وهي ظاهرة قد تكون اول مرة أيضا من المعنى النفسي الطابق بحث الجدل . فانوا أيضا مع قبل . ماير - رينتن W. Meyer - Rinteln في الصحيفة الكولونية (Kölnische Zeitung) تاريخ ٧ آذار ١٩٠٦ .

٧ - من الطبيعي الافتراض بأن المعنى الأصلي الطائفي للكلمات يمثل الاولوية المسبقة التكوين التي استخدمها فئة الناس في خدمة مول شمس . فغوام هذه الفكرة أن يقول الإنسان عكس ما كان يريد قوله .

## صعوبة أمام التحليل النفسي (٨)

سأبدأ بالتحديد بأنني لا أزمع أن أنكم عن صعوبة فكرية ، عن شيء يجعل التحليل النفسي عسيرا على فهم من يتوجه اليه (أسامعا كان أم قارئاً) . بل عن صعوبة وجدانية ، عن شيء يجعل التحليل النفسي يخسر تعاطف السامع أو القارئ ويضعف من ميلهما الى إيلائه اهتماما وتصديقا . ويسير علينا أن تبين أن هاتين الصعوبتين تتمخضان عن نتيجة واحدة . فمن لا يشعر بقدر كاف من التعاطف ازاء شيء ما ، يعجز أيضا عن فهمه بيسر . مراعاة مني للقارئ ، الذي أتصوره من غير أهل الاختصاص . أراني مضطرا الى رواية القصة من أولها . ففي التحليل النفسي

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة بالجريدة في مجلة Nyugat التي كان يصدرها هـ. المولوس في بونابست ١٩١٧ . ثم باللاتينية في مجلة ايمانغو . المجلد ٥ . ١٩١٧ . -م-

وبعد عدد كبير من الملاحظات والانطباعات الانفرادية ، تكون في خاتمة المطاف ضرب من نظرية ، يعرف باسم «نظرية الليبدو» .  
فالتحليل النفسي يسعى ، كما هو معروف ، الى فهم الاضطرابات المسماة بالاضطرابات العصبية والى شفاها . وقد كان من الضروري ، للتصدي لهذه المشكلة ، العثور على نقطة يمكن التصدي لها منها ، فقرر الفرار بلى البحث عنها في الحياة الغريزية للنفس . وهكذا اصبحت جملة من الفرضيات التي تتعلق بحياة الانسان الغريزية هي الاساس الذي قام عليه تصورنا عن الحالة العصبية .

ان علم النفس ، كما يدرس في مدارسنا ، لا يعطينا ، عندما نستنطقه حول مشكلات الحياة النفسية ، سوى اجوبة غير مقنعة . ولكن ما من ميدان بكتشف فيه الشك المعلومات التي يزودنا بها هذا العلم كميدان الغرائز .

وعليها نحن تقع مهمة الاهتداء الى اول الطريق . ان التجاور الشعبي يخص بالتمييز الجوع والحب ويرى فيهما ممثلين للغرائز التي تنزع من جهة اولى الى بقاء الفرد ، ومن الجهة الثانية الى تناسله . ونحن اذا تأخذ بدورنا بهذا التمييز الذي يبدو طبيعيا فعاما ، نفصل على صعيد التحليل النفسي غرائز البقاء ، او غرائز الانا ، عن الغرائز الجنسية ، ونطلق على القوة التي تتظاهر بها الغريزة الجنسية في الحياة النفسية اسم **الليبيدو** (٢) . اي الرغبة الجنسية ، ونرى فيها شيئا يضارع الجوع واردة القوة ، الخ . في عداد غرائز الانا .

وانطلاقا من هذا الفرض نحقق في هذا المضمار اول كشف

هام لنا . فنحن نكتشف اننا بحاجة . كيما نفهم الاسراض العصبية . الى ان نعزو المدلول الاهم - الاهم بكثير - الى الغرائز الجنسية . وان الاعصية هي . ان جاز التعبير . الامراض النوعية للوظيفة الجنسية . ونكتشف ايضا ان اصابة الفرد او عدم اصابته بعرض عصابي رهن بكمية الليبدو وبامكانية تثبية هذا الاخير وتغريقه من شحنته بإشباعه ، ونفهم ان شكل مرضه يتحدد بالكيفية التي اتجز بها الفرد تطور وظيفته الجنسية . او . كما نقول ، بالتثبيات التي عاناها الليبدو عنده في أثناء هذا التطور . والتثبية التي يخوزتنا . وهي ليست من اسسط التثبيات ، تمكثنا من ممارسة تأثير نفسي على المريض . ونتيج لنا في آن واحد ان نفهم وان نرد العديد من ضروب الاعصية الى اسفلها . ومجهودنا العلاجي يخالفه اكبر نصيب من النجاح حيال فئة معينة من الاعصية : تلك التي تنشأ عن الصراع بين غرائز الانا والغرائز الجنسية . اذ لا يندر ان تبدو مطالب الغرائز الجنسية . التي تتجاوز بكثير نطاق الفردية . للانسان وكأنها خطر يهدد بقائه بالذات او تقديره - المتوجب عليه - لذاته . وعندئذ يبادر الانسا الى اتخاذ موقف دفاعي . وينتزع عن الغرائز الجنسية الاشباع الذي تنوق اليه . ويجبرها على حاولت ملوك الحصول على إشباع يدبر بتظاهر في شكل اعراض عصبية .

عندئذ يتوصل العلاج التحليلي النفسي الى اعادة النظر في سيرورة الكبت ، والى توجيهه ذلك انسراح الى حال افضل وانسب للصحة . وهنا ينحني علينا اخصام غير متفهمين باللائمة . متهمين اننا بالترعة الحصرية وبالمغلاة في تقديرنا لاشدية الغرائز الجنسية : فلانسان بلا ريب اهتمامات اخرى غير الاهتمامات الجنسية ! وهذا في الحق ما لم نسه او ننكره لحظة واحدة . ووجهة نظرنا الحصرية اشبه ما تكون بوجهة نظر الكيمياوي الذي يرد جميع مكونات المادة الى قوة الجذب الكيمياوي . وهو بذلك

٢ - الليبدو : كلمة لاسبية الاصل Libido . وتعني اربية والطموة والشهية واللمعة والثرثرة والهوة والهوة والحاجة الطبيعية . الخ . -م-



لا يماري في التغاللة ، بل يترك للفيزيائي امر تقديرها .  
 لرام علينا ، في اثناء عملنا العلاجي ، ان نولي توزيع الليبيدو  
 لدى المريض اهتمامنا . لذا نسعى الى كشف التمثلات الموضوعاتية  
 Objectales التي تثبت عليها طاقته الليبية . ونحرم  
 هذه التمثلات لنضعها تحت تصرف الانا . وهكذا انتهينا الى تكوين  
 تصور متميز عن التوزيع البدائي لليبيدو لدى الانسان . فقد  
 وجدنا انفسنا مرغمين على الافتراض بان كل ليبيدو اكل ميل  
 ابروسي . كل طاقة حيوية تثبت في بدء نمو الفرد على الذات  
 ويتركز . كما اسلفنا ، على الانا البدائي . وفي زمن لاحق فحسب .  
 وبالارتكاز الى إشباع الحاجات الحيوية الكبرى ، يفلج الليبيدو  
 من الانا على المواضيع الخارجية ، مما يتيح لنا ان نعرف القرائز  
 الليبيدوية بما هي كذلك وان نميزها عن قرائز الانا . ويمكن  
 عندئذ فصل الليبيدو من جديد عن هذه المواضيع وإرجاعه  
 الى الانا .

وعلى الحالة التي يحتجز فيها الانا الليبيدو نطلق اسم  
**الترجسية** . تذكر بالأسطورة الاغريقية عن نرجس الفتى . المعرم  
 بصورة نفسه المنعكسة فوق صفحة الماء .

وبذلك نعزو الى الفرد الفرد على التقدم بتحوته عن الترجسية  
 الى الحب الموضوعاني . لكننا لا نعتقد انه من الممكن ان ينصب كل  
 الليبيدو على المواضيع . بل يبقى على الدوام في الانا متدار ما  
 من الليبيدو . ونظل هناك درجة ما من الترجسية رغم وجود حب  
 غيري تام ومنطور جدا . فالانسان خزان كبير ، ينفج خارجه الليبيدو  
 المخصص للمواضيع . وإليه يرتد من جديد . وبما ان الليبيدو  
 الموضوعاني كان في الاصل ليبيدو الانا . فمن الممكن ان يتحول من  
 جديد الى ليبيدو انوي . ومن الضروري لشمام صحة الفرد الا يفقد  
 ليبيدوه حركيته الكاملة . وللتبثيل على هذه العلاقة حسيًا .  
 لتصور الممورة Amibe التي تصدر مادتها الجامدة والمائعة

شوى كاذبة Pseudopodes - اي استطلاات تنتشر فيها المادة  
 الحية - والتي تملك المقدرة في كل آن وحين على ارجاعها الى  
 ذاتها ، بحيث يعود شكل النواة البولية الصغيرة كما كان  
 من الاول .

ان ما سميت الى وصفه بما تقدم هو نظرية الليبيدو قسي  
 الاعصية ، هذه النظرية التي على اساسها يقوم فهمنا لطبيعة هذه  
 الحالات المرضية ويتم تدخلنا العلاجي فيما يتعلق بها . وغني عن  
 البيان اننا نعتبر مفترضات نظرية الليبيدو هذه قابلة للتطبيق  
 ايضا على السلوك السوي . افلا نتكلم عن نرجسية الولد  
 الصغير ؟ اولا نعزو الى نرجسية الانسان البدائي الراجعة ايمانه  
 بكلية قدرة افكاره ، وبالتالي تصوره بأنه مستطيع ، بواسطة  
 السحر ، ان يؤثر على أحداث العالم الخارجي ؟

بعد الانتهاء من هذا التمهيد ، بودي ان اعرض كيف ان  
 نرجسية البشرية ، عزة نفسها بوجه عام ، قد تعرضت حتى الان ،  
 وبفعل التحري العلمي ، الى ثلاثة إذلالات خطيرة .

١ - في مستهل هذا التحري اعتقد الانسان في بادئ الامر  
 ان الارض ، التي توفر له المأوى ، تقف ساكنة وسط الكون ،  
 بينما الشمس والقمر والكواكب تتحرك في مدارات دائرية حولها .  
 وبذلك يكون قد صدق بسداجة حواسه ، لان الانسان لا يحس  
 البتة بحركة الارض ؛ وحيثما أمكن له ان يجيل نظره بحرية ، وجد  
 نفسه في مركز دائرة تحتوي العالم الخارجي . وكان الوضع  
 المركزي للارض ضمانا له على كل حال على دورها الراجع في  
 الكون بالتأزر مع ميله الى الشعور بينه وبين نفسه بأنه سيد  
 هذا العالم .

ان نقوّن هذا الوهم النرجسي يرتبط عندنا باسم ثيقولا  
 كوبرنيكوس وعمله في القرن السادس عشر . وقد كان ساور  
 الفيشاغورين قبله بحجة مديدة شك حول هذا الوضع المتميز

للأرض ، فأعلن أرسطارخوس الساموسي (٢) منذ القرن الثالث ق.م أن الأرض أصغر من الشمس وأنها تدور ولا يد حول هذا النجم . إذن فحتى اكتشاف كوبرنيكوس كان قد تم قبله . ولكنه حين حظي بالقبول العام منيت الكبرياء البشرية بإذلالها الأول ، الإذلال الفلكي .

ب - لقد ارتقى الإنسان ، في مجرى تطوره الحضاري ، إلى دور السيد على أقرانه من الجنس الحيواني . ولكنه لم يكتف بهذه السيادة ، بل طفق يحقر هوة بينهم وبينه . فأنكر عليهم العقل ، وحبا نفسه بروح لا تغنى ، وتباهى بنسب إلهي سمح له بتمزيق كل رابطة تضامن مع العالم الحيواني . وهذا الصلف - وهذا مشير للفضول - يبقى مجهولا من الولد الصغير كما من الإنسان البدائي . فهو نتيجة تطور لاحق ، ذي مطامح أوسع . فالإنسان البدائي ، في طور الطوطمية ، ما كان يخرج البتة من نسب عشيرته إلى سلف حيواني . والأسطورة ، التي تحتوي عصارة هذا النهج القديم في التفكير ، تلبس الآلهة أجسام حيوانات ، كما يصور فن الأزمنة البدائية الآلهة برؤوس حيوانية . ولا يشعر الطفل بأي فارق بين كينونته وكيونة الحيوان ؛ ولا يدهشه البتة أن تحدثه الحكايا عن حيوانات مفكرة وناطقة ؛ ويعزو إلى الكلب أو الحصان شحنة الخوف الذي يبعثه والده في وجدانه ، من دون أن تساوره في ذلك أية نية للانتفاص من قدر أبيه . وإنما بعد أن

يشب عن الطوق ، يتأى عن الحيوان ويصير يشتم الإنسان باطلاق أسماء حيوانية عليه .

إننا نعلم جميعا أن مباحث تشارلز داروين ومعاونيه وسابقيه قد وضعت حدا لادعاء الإنسان هذا منذ نحو نصف قرن من الزمن . فما الإنسان بغير الحيوان ، ولا بأفضل منه ، بل أنه متحدر هو نفسه من السلسلة الحيوانية ، وصلات قرابه ببعض الأنواع قريبة ، وبغيرها بعيدة . وفنوحاته الخارجية لم تتوصل إلى محو علامات هذا التكافؤ التي تتجلى أن في بنية جسمه وأن في استعداداته النفسية . وذلك هو الإذلال الثاني للترجيبة البشرية : الإذلال البيولوجي .

ج - غير أن الإذلال الثالث ، وهو من طبيعة سيكولوجية ، أشد هذه الإذلالات وقعا وتأثيرا فيه .

فمهما تنحط مرتبة الإنسان خارجيا ، يظل يشعر بأنه سيد نفسه في ذات نفسه . وقد تكون في مكان ما ، في قلب أناه ، جهاز مراقبة وظيفته أن يتحقق مما إذا كانت انفعالات الممرء وأعماله تتفق ومطالب الأنا . فإن لم تتفق وإياها ، لجعها بلا شفقة وردعها . ويقوم الإدراك الداخلي ، الشعور ، بتبليغ الأنا بجميع السيورات الهامة التي تجري في الجهاز النفسي ، وتقوم الإرادة ، على ضوء هذه المعلومات ، بتنفيذ ما يأمر به الأنا ، مصححة ما كان يود أو يتحقق بكيفية مستقلة . وآية ذلك أن هذه النفس ليست بالبيضة ، وإنما هي بالاحرى تراب من هياث عليا ودنيا ، تشاك من حفزات تسعى إلى تحقيق ذاتها باستقلال عن بعضها بعضا ، وتتناظر مع العدد الكبير من الغرائز ومن العلاقات بالعالم الخارجي ، على ما بين الكثير منها من تناقض وتناف . ومن الضروري للوظيفة النفسية أن تطلع الهيئة العليا على كل ما يجري الأعداد له ، وأن تنفذ أراستها إلى كل مكان كيما تعارس فيه تأثيرها . وبذلك يشعر الأنا بأنه يستطيع الإطعنان

٢ - أرسطارخوس الساموسي : عالم فلك أعريقي (نحو ٣٢٠ - ٢٥٠ ق.م) من ألباغ فيثاغورس . أظهرت له قياساته الهندسية للمسافات بين الأرض والشمس والقمر بطلان نظرية أرسطو القائلة بأن الأرض هي مركز الكون ، وأقنعت به هذه القياسات إلى المساءة بنظرية تعد الشمس مركز الكون ، ولكن مدعيه لم يلق قبولا في العصور القديمة وظل منسيا حتى أيام كوبرنيكوس . -م-

سواء إلى تمام المعلومات التي يتلقاها ونزاهتها أم إلى تنفيذ الأوامر التي يصدرها .

لكن على غير هذا المنوال تجري الأمور في بعض الأمراض ، وبالتحديد في الأعصاب التي تصدنا لدراستها . فالأنا يشعر بالتضيق ، ويكاد يصل إلى حدود قوته في داخل بيته ، النفس . فإذا بأفكار تنبجس فيه من دون أن يعرف لها مصدرا ؛ ويفقد القدرة على طردها عنه . بل يبدو أن هؤلاء الضيوف الغرباء أقوى حتى من أولئك الذين القوا عصا الطاعة للأنا ؛ فهم يقاومون جميع قوى الإرادة التي كانت قد أثبتت فعاليتها ، ولا يدون تأللا بالتنفيذ المنطقي ، ولا يؤثر فيهم اثبات الواقع المناهض . أو قد تظهر إجباريات تبدو وكأنها صادرة عن شخص أجنبي ، فيكرها الأنا ، بيد أنه يخافها وبخشاها مع ذلك ، فيضطر إلى اتخاذ تدابير احتياطية ضدها . ويقول الأنا بينه وبين نفسه أن ذلك مرض ، غزو أجنبي ، فيضاعف من يقظته ، لكنه لا يستطيع أن يفهم لماذا يساوره مثل هذا الشعور العجيب بالعجز .

صحيح أن الطب العقلي ينكر أن تكون هذه الظواهر من فعل أرواح شريرة خارجية افتحمت الحياة النفسية ، لكنه يكفي بعد هذا الإنكار بالقول وهو يهز كنفه : انحطاط ، استعسداد ورأى ، نقص تكويني ! وبالمقابل يأخذ التحليل النفسي على عاتقه فك لغز هذه الحالات المرضية المقلقة ، وينظم أبحاثا طويلة ومدققة ، ويصوغ مفاهيم بديلة وإنشاءات علمية ، ويستطيع في خاتمة المطاف أن يقول للأنا : « لا شيء غريب قد دلف إليك ، وإنما هو جانب من حياتك النفسية الخاصة أفلت من معرفتك ومن سلطان إرادتك . ولهذا السبب أصلا تجد نفسك في منتهى الضعف في دفاعك ؛ فأنت تصارع بشطر من قوتك ضد الشطر الآخر ، ولا يسعك استجماع قوتك كلها كما تفعل فيما لو كنت تواجه عدوا خارجيا . وليس أسوأ شطر من قواك النفسية ولا

أنفه هو ما ينتصب في وجهك ويستقل عنك على هذا النحو . والخطأ ، ينبغي أن أقول ذلك ، خطؤك . فلقد بالغت في تقدير قوتك حين خيل إليك أنه بم استطاعتك التصرف على هواك بغرائزك الجنسية وأنت لست مضطرا إلى أن تقيم أي اعتبار لصيواتها وتطلعاتها . عندئذ تمردت عليك وسلكت طرقها السرية الخاصة لتنجو بنفسها من القمع ، وأخذت حقها على نحو لا يمكن أن يرضيك . وأنت لا تعرف كيف تدبرت أمرها ، وأية طرق اختارت ؛ وحدها نتيجة هذا العمل ، أي العرض الذي يتظاهر بالألم الذي ينتابك ، وصلت إلى علمك . ولقد أنت لا تعترف بهذا العرض فسيلة من غرائزك المكبوحة ، وتجهل أنه أشيع بديل لها . « غير أن كل هذه السيورة ليست ممكنة إلا بشرط واحد : أن تكون على ضلال من أمرك أيضا بصدد نقطة هامة أخرى . فأنت تعتقد أنك تعرف كل ما يجري في نفسك ، شريطة أن يكون على درجة ما من الأهمية ، لأن وعيك قمين بأن يعلمك به . وعندما تنقطع عنك أخبار ما يجري في نفسك ، تسلم بطمأنينة تامة بأنه لا يجري فيها شيء . بل إن تحجم عن اعتبار « النفس » مطابقا لـ « الوعي » ، أي للمعروف من قبلك ، وهذا بالرغم من دافع الأدلة على أنه تجري في حياتك النفسية باستمرار أشياء أكثر بكثير مما يمكن أن يتكشف لوعيك . إذن دعنا نردك علما حول هذه النقطة ! « أن النفسي لا يتطابق فيك مع الوعي : فإن يجري شيء ما في نفسك وأن باتيك فضلا عن ذلك علمه ، فما ذلك بشيء واحد . صحيح أن جهاز الاستعلام الموضوع في تصرف وعيك يمكن أن يفي عادة بحاجاتك . ويسر عليك بالتالي أن توهم نفسك بأنك تعرف كل ما له قدر من الأهمية . ولكنه في العديد من الحالات يخذلك ، وعلى سبيل المثال في حال نشوب واحد من تلك الصراعات الغريزية ، وعندئذ لا تذهب إرادتك إلى أبعد من حد معرفتك . غير أن معلومات وعيك تلك هي على كل حال ناقصة ،

وفي كثير من الاحيان غير موثوقة ؛ وفي احيان اكثر قد لا ياتيك علم الاحداث الا بعد حدوثها وبعد ان يسقط الامر في يدك ازاءها . ومن يستطيع ، حتى عندما لا تكون مريضا ، ان يتكهن بكل ما يدور في نفسك مما ليس لك به علم او مما ياتيك عنه كاذب العلم ؟ انك لتتصرف كعاهل مطلق يكتفي بالمعلومات التي يزوده بها كبار اهل البلاط ولا ينزل الى الشعب لسمع صوته . الا عد الى نفسك وتعمق فيها ، وتعلم اولا ان تعرف نفسك ، فعندئذ ستفهم لماذا ستقع مريضا ، ولعلك ستحاشي ان تصبح كذلك فعلا .

هذا هو الخطاب الذي يود التحليل النفسي توجيهه الى الانا . بيد ان الاضافتين اللتين يضيفهما الى علمنا ، والممثلتين في ان الحياة الغريزية الجنسية غير قابلة للترويض الكامل في داخل أنفسنا وفي ان السرورات النفسية هي بحد ذاتها لاواعية ولا تغدو في متناول الانا وفي امرته الا عن طريق ادراك غير كامل وغير اكيد ، تعادلان التوكيد بأن **الانا ليس السيد في بيته** . وهما تشكلان الإذلال الثالث للكبرياء البشرية ، وهو إذلال سائغته **بالسيكولوجي** . فهل من عجب في هذه الحال ان ضمن الانا يعطفه على التحليل النفسي وأبى بعناد تصديق مدعاه ؟

ولعلم قلائل من يدركون الامر على حقيقته : فالتسليم بفرضية السرورات النفسية اللاواعية خطوة تترتب عليها نتائج بالغة الاهمية بالنسبة الى العلم كما الى الحياة العملية . لكن لنسارع الى القول بأن التحليل النفسي ليس هو اول من خطا هذه الخطوة . فقد سبقه على هذا الطريق فلاسفة مشاهير ، ونستطيع ان نسمي منهم في المقام الاول المفكر الكبير شوبنهاور الذي تعادل «الارادة» اللاواعية التي قال بها الغرائز النفسية التي قال بها التحليل النفسي . وهذا المفكر هو عينه الذي ذكر البشر على كل حال ، وبكلمات لا ينتسى عنفوانها ، باهمية صولاتهم الجنسية الموهنة من شأنها على الدوام . والفضل الوحيد للتحليل النفسي انه لم

يقدم على طبق من التجريد هائين الاطروحتين ، الشاق احتمالهما على النرجسية : اطروحة الاهمية النفسية للجنسية Sexualité ، واطروحة لاشعورية الحياة النفسية . بل هو يسوق الدليل عليهما بواسطة مادة تعني كل انسان على حدة ، ورغم كل واحد على اتخاذ موقف من هاتين المشكلتين . ولكن لهذا على وجه التحديد يجر على نفسه العناء والمقاومة البشرية اللذين ما كانا لهما الا ان يتراجعا جافلين امام الاسم الكبير للفيلسوف .

# فهرست

- ٥ ١ - عصاب شیطانی من القرن السابع عشر
- ٤٨ ٢ - الافعال النسلطية والشعائر الدينية
- ٦٠ ٣ - موازيات ميتولوجية لتعثل وسواسي لشكيلي
- ٦٤ ٤ - حادث من الحياة الدينية
- ٥ - التحليل النفسي والبات الوقائع في المضممار القضائي  
بمنهج تشخيصي
- ٦٦ ٦ - طباق المعاني في الالفاظ البدائية
- ٨٤ ٧ - صعوبة امام التحليل النفسي
- ٩٣